هَلْ تَتَحَوَّلُ كُلُّ «حالٍ» إلى «هَيْئَة» في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّة؟

د. عُمر يوسُف عُكاشَة *

E.mail: omar_okasha@hotmail.com

* مَرْكزُ اللُّغات وَقِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّة، جامِعَةُ الْيَرْموك

هَلْ تَتَحَوَّلُ كُلُّ «حال» إلى «هَيْئَة» في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّة؟

د. عُمر يوسُف عُكاشَة

الملخص:

مُرْتَكَزُ الْبَحْث حَوْلَ الدَّعْوَة إلى ضَرورَة التَّفْريق بَيْنَ ما يُبَيِّنُ هَيْئَةَ الاسْم، وَهُوَ الْمَعْروفُ تَقْليديًّا بالْحال، كَما في: «فَتَحَ الْبابَ مُسْرعًا»، وَما يُبَيِّنُ هَيْئَةَ الْفعْل أَو الْحَدَث، وَهُوَ الْمُصْطَلَحُ عَلَيْه في الْبَحْث الْحاليِّ بالْهَيْئَة، وَالْمُعَبَّرُ عَنْهُ لُغَويًّا بإحْدى الْوَسائل الآتيَة: (الْمَفْعول الْمُطْلَق الْمَوْصوف أَو الْمُضاف)، أَو (الصِّفَة الَّتي تَنوبُ مَنابَ الْمَصْدَر)، أَو الْمُرَكَّب الْجَرِّيِّ (بـ+مَصْدَر)، أَوْ (بشَكْل+صفَة): «فَتَحَ الْبابَ فَتْحًا سَريعًا»، «فَتَحَ الْبابَ سَريعًا»،«فَتَحَ الْبابَ بسُرْعَة»، «فَتَحَ الْبابَ بشَكْل سَريع». وَيَذْهَبُ الْبَحْثُ إلى أَنَّهُ لا فَرْقَ دلاليًّا إطْلاقًا بَيْنَ الْحال وَالْهَيْئَة في مثْل قَوْلَيْنا: (انْطَلَقَت السَّيّارَةُ مُسْرعَةً) وَ(انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بسُرْعَة). وَيَنْصَبُّ الاهْتمامُ في الْبَحْث منْ بَعْدُ عَلى الْقانونَيْن اللَّذَيْن يَحْكُمان مَجيءَ مُرَكَّب الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر) في الْعَرَبيَّة، الْقانونَيْن اللَّذَيْن في ضَوْئهما تُجَوِّزُ اللُّغَةُ تَحْويلَ الْحال إلى الْهَيْئَة فَالْقَوْل: (مَشى بَطيئًا-<مَشى بِبُطْء)، أَوْ تُلَحِّنُ التَّحْويلَ كَما في: (ذَهَبَ ماشيًا-<×ذَهَبَ بِمَشْي).

مصطلحات أساسية: الْحال، الْهَيْئَة

Does Every (Haal حال) Change to (Hay›ah هَيْئَة) In Arabic?

Dr. Omar Yousef Okasha

Abstract:

The main focus of the current study was about the call for the need to distinguish between what modifies the noun in Arabic which is traditionally known as (الحال) as in: فَتَحَ البابَ مُسْرِعًا and between what modifies the verb which is termed in the following paper as (الهيئة) which is expressed linguistically using many forms. The current study concludes that there is no semantic difference between (الحال) and (الهيئة) as seen in:(انْطَلَقَتِ السَّيّارَةُ مُسْرِعَةً) (انْطَلَقَتِ السَّيّارَةُ بِسُرْعَةٍ). Then, the current paper focuses on the rules for the transformation of (الحال) to (الهَيْئَة) in Arabic.

Keywords: Al-Haal, ‘Al-Hay’ah

التَّهْيئَة:

إنَّ كَثيرًا منَ التَّراكيب الَّتي تَرْفُضُها الْعَرَبيَّةُ، ممّا ضَمَّها الْبَحْثُ في ثَناياه، قامَ باجْتراحها مُتَعَلِّمو الْعَرَبيَّة النّاطقونَ بغَيْرها، وَهيَ منَ النَّوْع الَّذي لا يَجْتَرحُهُ إطْلاقًا مُتَعَلِّموها النّاطقونَ بها بأَيِّ حال منَ الأَحْوال، وَبأَيِّ شَكْل منَ الأَشْكال. هيَ– بكُلِّ اطْمئْنان- حكْرٌ على طائفَة مُتَعَلِّمي الْعَرَبيَّة النّاطقينَ بغَيْرها دونَ غَيْرها. وَأَكْثَرُ منْ هذا أَنَّ كُلَّ ناطق بالْعَرَبيَّة أَكْمَلَ بنَجاح مَرْحَلَةَ اكْتسابها، يَسْتَطيعُ–بفَرْط سُهولَة- أَنْ يُوَجِّهَ مُتَعَلِّمَ الْعَرَبيَّة النّاطقَ بغَيْرها إلى خَطَئه، فَيَسْتَطيعُ أَنْ يُبينَ لَهُ وَجْهَ الصَّواب في ما اجْتَرَحَ منْ خَطأ. وَممّا لا يَنْقَضي منْهُ الْعَجَبُ أَنَّنا لا نَجدُ إلى الآن مَرْجعًا وَعْبًا يُمْكنُ أَنْ يَهْتَديَ به وَيَسْتَرْشدَ مُعَلِّمو الْعَرَبيَّة للنّاطقينَ بغَيْرها وَهُمْ يَتَعامَلونَ مَعَ أَخْطاء أولئكَ النَّفَر منَ الْمُتَعَلِّمين بُغْيَةَ التَّوْصيف وَالتَّحْليل وَالتَّصْحيح.

لكنَّ مُتَعَلِّمَ الْعَرَبيَّة منَ النّاطقينَ بغَيْرها كَما أَلْفَيْتُهُ في مُعْظَم الأَحْيان، لا يَقْنَعُ منَ الأَمْر بما قيلَ لَه منَ الْخَطَأ الَّذي صَوابُهُ كَذا، بَلْ يَذْهَبُ إلى أَبْعَدَ منْ ذلكُمْ ليَسْأَلَ عَنْ وَجْه الْخَطَأ في ما أَنْتَجَه: «لماذا هُوَ خَطَأ»؟ «لماذا يُعَدُّ خَطَئي خَطَأً»؟ وَهُنا تَنْتابُ الْمُعَلِّمَ الْيَقظَ الْحَيْرَةُ، وَتَأْسرُهُ الدَّهْشَةُ، ليَتَساءَلَ الْمُعَلِّمُ عَمّا كانَ عَنْهُ الْمُتَعَلِّمُ سَأَل: «وَالله صَحيح: لمَ تَقولُ الْعَرَبيَّةُ كَذا، وَلا تَقولُ كَذا؟ لمَ تَرْفُضُ اللُّغَةُ الْقَوْلَ كَذا، بَيْنَما نَراها تَسْتَحبُّ كَذا؟!». ثُمَّ يَنْطَلقُ الْمُعَلِّمُ النّابهُ الْمُسْكينُ في رحْلَة التَّسْآل تلْكَ ليُجَلِّيَ بَعْضًا منْ جَنَباتها، فَيَبْحَثَ في بُطون كُتُب النَّحْو وَاللُّغَة فَلا يَكاد يَعودُ بشَيْء ذي بال، بَلْ لا يَعودُ بشَيْء في مُعْظَم الأَحْوال، لأَنَّ الْمَسْأَلَةَ الْمَبْحوثَةَ–ببَساطَة شَديدَة- هيَ منَ النَّحْو الْعَمَليِّ الْغائب عَن النَّحْو الْعِلْميّ[1]. وَتَتَّسعُ شقَّةُ الدَّهْشَة وَهُوَّةُ الْحَيْرَة حينَما يَعْلَمُ–في حُدود الْمُتَوصَّل إلَيْه- أَنْ لا أَحَدَ قَدْ سَأَلَ مَسْأَلَتَه، أَو الْتَفَتَ الْتفاتَتَه! وَلَنْ تَكونَ مُحَصِّلَةُ الأَمْر بَعْدَ ذلكَ الْبَحْث وَكُلِّ ذلكَ التَّطْواف–في أَحْسَن الأَحْوال- سوى اجْتهاد شَخْصيٍّ منْ ذلكَ الْمُعَلِّم الْفَطن، فيه يُصيب أَوْ يُخيب.

وَلا تَنْفَكُّ أَسْئلَةُ هذا النَّفَر منَ الْمُتَعَلِّمين تُواجهُ مُعَلِّمَ الْعَرَبيَّة للنّاطقينَ بغَيْرها وَتُراوده، عَنْ ظَواهرَ نَحْويَّة وَلُغَويَّة في الْعَرَبيَّة، لا نَتَوَقَّفُ نَحْنُ في الْعادَة عنْدَها بالْوَصْف الْمُباشر، وَهيَ أَسْئلَةٌ يَسْألونَها بتَوْجيه منْ لُغَتهمُ الأولى–في بَعْض الأَحْيان عَلى الأَقَلّ-. وَمَعَ أَنَّها أَسْئلَةٌ تُثيرُ وَعْيَنا عَلى لُغَتنا، وَتُثيرُ الْوَعْيَ عَلى مَناطقَ منَ النَّحْو غَيْر مُضاءَة، فَإنَّها–في الْوَقْت نَفْسه- أَسْئلَةٌ يَضيقُ بها–للأَسَف الشَّديد- صَدْرُ منَ ارْتَضى بتَعْليم الْعَرَبيَّة تَقْليديًّا، فَنَراهُ–بَعْدُ- يَفْرضُ عَلى مُتَعَلِّمي الْعَرَبيَّة منَ النّاطقينَ بغَيْرها قَواعدَها وفْقَ ما اسْتَقَرَّتْ عَلَيْه لَدى النّاطقينَ بها! وَالْبَحْثُ الْحاليُّ آت في هذا الإطار الشّائك الشّائق، يُحاولُ فيه صاحبُهُ تَقْعيدًا لجانب بَدا لَهُ غَيْرَ مُقَعَّد منْ نَحْو لُغَتنا الْعَرَبيَّة.

وَقَدْ كانَ الْمُحَرِّكُ إلى بَحْثي هذا، لَحْنًا اجْتَرَحَهُ أَحَدُ طُلّابي منَ النّاطقينَ بغَيْر الْعَرَبيَّة. فَقَدْ كَتَبَ لي ذلكَ الطّالبُ، في أَحَد أَيّام الْفَصْل الأَوَّل منَ الْعام الْجامعيِّ 2012/2013م، التَّرْكيبَ: (×كَتَبَ فَلاحٌ الدَّرْسَ بجَمال)[2]! وَقَدْ جاءَ إنْتاجُهُ هذا الْخَطَأَ في سياق تَعْليمي إيّاهُمْ تَراكيبَ الْحال الْمُتَنَوِّعَة، وَكَمْ تَمَلَّكَتِ الْمَرْءَ الدَّهْشَةُ وَعَلَتْهُ الْحَيْرَةُ وَالاضْطرابُ وَهُوَ بإزاء هذا اللَّحْن يَتَأَمَّلُهُ مُحاولًا فَضَّ مغْلاقه في نَحْو منْ سَنَة وَنصْف! وَمَعَ أَنَّني كُنْتُ أَعْرفُ–طَبْعًا- وَجْهَ الصَّواب لما أَنْتَجَ الطّالبُ منْ خَطَأ، وَكُلُّ النّاطقينَ

بالْعَرَبِيَّة قادرونَ مِثْلي-بِطَبيعَة الْحال- عَلى تَصْحيح هذا الْخَطأ، فَإِنَّني لَمْ أَهْتَد لَحْظَتَئذ إلى مَعْرِفَة وَجْه الْخَطأ في ما اجْتَرَحَ! كَيْفَ نُوَصِّفُ خَطأَ الطّالب ذاك؟ أَيْنَ يَكْمُنُ الْخَطأُ تَعْيينًا؟ لماذا هُوَ-باخْتصار- خَطأ؟ وَقَوْلُ الطّالب: (*كَتَبَ فَلاحٌ الدَّرْسَ بجَمال)، لا جَرَمَ ممّا تَرْفُضُهُ سَلائقُ النّاطقينَ بالْعَرَبِيَّة الْيَوْمَ وَكُلَّ يَوْم، وَهُوَ مُتَجاوَزٌ بالْقَوْل: (كَتَبَ فَلاحٌ الدَّرْسَ بِشَكْلٍ جَميل/بطَريقَة جَميلَة).

فَلِمَ نَسْتَطيعُ الْقَوْلَ-أَمْثالًا-: (سَمِعْتُ الْقُرْآنَ بخُشوع)، وَ(غَضِبَ بَكْرٌ بشدَّة)، وَ(تَكَلَّمَ مَعي بِسُخْرِيَة)، وَلا نَسْتَطيعُ الْقَوْل: (*كَتَبَ فَلاحٌ الدَّرْسَ بجَمال)، وَلا (*ذَهَبْتُ إلى السّوق برُكوب)، وَلا (*شَرِبْتُ الْحَليبَ ببُرودَة)؟! لمَ يُعَدُّ منَ الصَّواب التَّحْويلُ فَالْقَوْلُ: (سَمِعْتُ الْقُرْآنَ خاشعًا-<سَمِعْتُ الْقُرْآنَ بخُشوع)، وَ(تَكَلَّمَ مَعي ساخرًا-<تَكَلَّمَ مَعي بِسُخْرِيَة)، لكنّنا لا نَجِدُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ ماثلًا في: (*غَضِبَ بَكْرٌ شَديدًا-<غَضِبَ بَكْرٌ بشدَّة) وَ(ذَهَبْتُ إلى السّوق راكبًا-<*ذَهَبْتُ إلى السّوق برُكوب)؟ وَهَلْ ثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَ (ساخرًا) وَ(بِسُخْرِيَة) في الْجُمْلَتَيْن: (تَكَلَّمَ مَعي ساخرًا) وَ(تَكَلَّمَ مَعي بِسُخْرِيَة)؟! لمَ أَوْجَدَت اللُّغَةُ كُلًّا؟ لمَ نَقولُ صَوابًا: (مَشى زَيْدٌ بَطيئًا)، وَ(نَظَرَ وائلٌ غاضبًا)، وَ(أَقْبَلَ النّاجحُ مَسْرورًا)، وَلا نَقولُ: (*شَعَرَ زيادٌ سَعيدًا)، أَوْ (*غَضِبَ أَنَسٌ شَديدًا)، بَلْ نَقْبَلُ في الأَخيرَتَيْن أَنْ يُقال: (شَعَرَ زيادٌ بالسَّعادَة)، وَ(غَضِبَ أَنَسٌ بشدَّة)؟! إنَّ أَقْصى ما أَطْمَحُ إليْه في هذا الْبَحْث، أَنْ أَلْفِتَ أَنْظارَ الْمُشْتَغلينَ باللِّسانيّات التّاريخيَّة، وَاللِّسانيّات التَّرْكيبيَّة، وَاللِّسانيّات التَّعْليميَّة، لتِلْكَ الْمُشْكلات وَغَيْرِها ممّا كانَ بها مُتَّصلا.

التَّأْسيس: الدَّعْوَةُ إلى التَّفْريق بَيْنَ مُصْطَلَحَين

أَوَّلًا: «الْهَيْئَةُ» وَ«الْحال» بَيْنَ الاتِّفاق وَالافْتراق:

منَ الْمَعْلوم أَنَّ النَّظَريَّةَ النَّحْويَّةَ الْعَرَبِيَّةَ تُسْنِدُ إلى الْكَلِمات الْمُبَرْزَة (الْمُغَمَّقَة) في الْجُمَلِ الآتيَة وَظيفَةً نَحْويَّةً واحدَةً. تَأَمَّلْها:

(1) مَشى زَيْدٌ بَطيئًا.

(2) تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوع ساخرًا.

(3) نَظَرَتْ إليْه مَرْيَمُ غاضبَةً.

(4) يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة واثقًا.

(5) أَقْبَلَ النّاجحُ مَسْرورًا.

تَجِدُ أَنَّ الأَسْماءَ الْمُبَرْزَةَ (الْمُغَمَّقَة) كُلَّها تُؤَدّي وَظيفَةَ الْحال[3]. وَالْحال، عَلى ما هُوَ مَعْلومٌ مَشْهورٌ منْ مُدَوَّنات النُّحاة الْقُدَماء، لَيْسَ إلّا هَيْئَةَ الْفاعل أَوِ الْمَفْعول. قالَ ابْنُ السَّرّاج (316ه): «وَالْحالُ إنَّما هيَ هَيْئَةُ الْفاعل أَوِ الْمَفْعول[4]، أَوْ صفَتُهُ في وَقْت ذلكَ الْفعْل الْمُخْبَر به عَنْه»[5]. وَقالَ ابْنُ يَعيش (643هـ): «اعْلَمْ أَنَّ الْحالَ وَصْفُ هَيْئَة الْفاعل أَوِ الْمَفْعول، وَذلكَ نَحْوَ: جاءَ زَيْدٌ ضاحكًا، وَأَقْبَلَ مُحَمَّدٌ مُسْرعًا، وَضَرَبْتُ عَبْدَ الله باكيًا، وَلَقيتُ الأَميرَ عادلًا»[6]. وَيَنْبَني عَلى هذا بسُهولَة الْقَوْلُ: إنَّ زَيْدًا في (1) هُوَ الْبَطيء، وَإنَّ بلالًا في (2) هُوَ السّاخر، وَإنَّ مَرْيَمَ هيَ الْغاضبَةُ في (3)، وَإنَّ أَمْجَدَ هُوَ الْواثقُ في الْجُمْلَة (4)، وَإنَّ النّاجحَ –لا شَكَّ- هُوَ الْمَسْرورُ في (5). وَمنْ هُنا جاءَ مَفْهومُ «صاحب الْحال» في النَّحْو الْعَرَبيّ، فَكُلُّ اسْم منَ الأَسْماء الْمَخْطوط تَحْتَها (زَيْدٌ، بلالٌ، مَرْيَمُ، أَمْجَدُ، النّاجحُ) يُمَثِّلُ «صاحبَ الْحال» في الْجُمْلَة.

وَقَدْ جاءَ «صاحبُ الْحال» فاعلًا في الْجُمَل (-1

5)، وَيُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ–كَما ذُكِرَ– مَفْعولًا بِه، كَما في الْجُمَلِ الآتِيَة (10-6):

(6) شَرِبْتُ الْحَليبَ باردًا.

(7) سَمِعْتُ الْمَريضَ مُتَأَوِّهًا.

(8) شاهَدتُّ الطُّيورَ مُهاجِرَةً.

(9) رَكِبْتُ السَّيّارَةَ مُسْرِعَةً.

(10) قالَ عامِرٌ رَأْيَهُ واضِحًا[7].

وَمِنْ أَجْلِ ذلكَ يَصِحُّ، في الْجُمَلِ كُلِّها (10–1)، أَنْ نُنْشِئَ أَوْ نُكَوِّنَ مِنْ صاحِبِ الْحالِ وَالْحالِ نَفْسِها عَلاقَةَ إِسْنادٍ تامٍّ (إِسْنادٍ أَصْلِيٍّ مَقْصودٍ لِذاتِه)[8]، فَنَقولَ:

(1) مَشى زَيْدٌ بَطيئًا. -> (1أ) زَيْدٌ بَطيء.

(2) تَحَدَّثَ بِلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ ساخِرًا. -> (2أ) بِلالٌ ساخِر.

(3) نَظَرَتْ إِلَيْهِ مَرْيَمُ غاضِبَةً. -> (3أ) مَرْيَمُ غاضِبَة.

(4) يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئِلَةِ واثِقًا. -> (4أ) أَمْجَدُ واثِق.

(5) أَقْبَلَ النّاجِحُ مَسْرورًا. -> (5أ) النّاجِحُ مَسْرور.

(6) شَرِبْتُ الْحَليبَ باردًا. -> (6أ) الْحَليبُ بارِد.

(7) سَمِعْتُ الْمَريضَ مُتَأَوِّهًا. -> (7أ) الْمَريضُ مُتَأَوِّه.

(8) شاهَدتُّ الطُّيورَ مُهاجِرَةً. -> (8أ) الطُّيورُ مُهاجِرَة.

(9) رَكِبْتُ السَّيّارَةَ مُسْرِعَةً. -> (9أ) السَّيّارَةُ مُسْرِعَة.

(10) قالَ عامِرٌ رَأْيَهُ واضِحًا. -> (10أ) الرَّأْيُ واضِح.

صَحيحٌ أَنَّ الْحالَ مُقَيِّدٌ مِنْ جُمْلَةِ مُقَيِّداتِ الْفِعْلِ في الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّة، لأَنَّ «الْمَقْصودَ بِالْحالِ تَقْييدُ الْحَدَثِ الْمَذْكور»[9]، لكنَّ الْحالَ تَرْتَبِطُ–بَداهَةً– بِصاحِبِها لا بِالْفِعْل. وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلى أَنَّ الْمَقْصودَ بِالْحالِ لا أَنْ تَرْتَبِطَ بِالْفِعْلِ بَلْ بِصاحِبِها، مِنْ أَنَّنا في الْجُمْلَتَيْن:

– لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ فَرِحَةً.

– لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ جَديدًا.

نَسْتَطيعُ اسْتِنْتاجَ الْقَوْلِ: (سَلْمى فَرِحَة)، وَ(الثَّوْبُ جَديد)–عَلى التَّرْتيب–، وَلا نَسْتَطيعُ اسْتِنْتاجَ الْقَوْلِ: (×اللِّبْس جَديد)، وَ(×اللِّبْسُ فَرِح)–عَلى التَّوالي–.

وَقَدْ ساقَ «مُصْطَفى حميدَة» أَدِلَّةً أُخْرى–تَكادُ تَكونُ حاسِمَةً– عَلى أَنَّ عَلاقَةَ الارْتِباطِ تَنْشَأُ بَيْنَ «الْحالِ وَصاحِبِها»، وَلَيْسَ بَيْنَ «الْحالِ وَالْفِعْل»، وَذلكَ عِنْدَما لَحَظَ أَنَّ مَنْشَأَ الْغُموضِ في بَعْضِ الْجُمَلِ في بابِ الْحالِ يَعودُ إِلى اللَّبْسِ في فَهْمِ عَلاقَةِ الارْتِباطِ بَيْنَ الْحالِ وَصاحِبِها، وَلَيْسَ بَيْنَ الْحالِ وَالْفِعْل. فَفي جُمْلَةِ (لَقيتُ زَيْدًا راكِبًا) «يَنْشَأُ احْتِمالانِ في فَهْمِ تِلْكَ الْعَلاقَةِ: إِمّا أَنَّها ارْتِباطٌ بَيْنَ الْحالِ وَالْفاعِلِ، وَإِمّا بَيْنَ الْحالِ وَالْمَفْعولِ بِه. وَلَوْ كانَتْ عَلاقَةُ الارْتِباطِ تَنْشَأُ بَيْنَ الْحالِ وَالْفِعْلِ ما نَشَأَ غُموضٌ في تِلْكَ الْجُمْلَة»[10]. كَما أَوْرَدَ دَليلًا آخَرَ هُوَ عَوْدَةُ الضَّميرِ الْمُسْتَتِرِ إِلى صاحِبِ الْحالِ، إِذْ هِيَ–الْعَوْدَة– «تَقْوِيَةٌ وَقَرينَةٌ لِعَلاقَةِ الارْتِباطِ بَيْنَ الْحالِ وَصاحِبِها»[11].

وَقَدْ وَقَفَ «مُحَمَّد حَماسَة عَبْد اللَّطيف» مَوْقِفًا مُخْتَلِفًا حينَما راحَ يَتَلَمَّسُ–في مُحاوَلَةٍ تَوْفيقِيَّةٍ بَيْنَ الرَّأْيَيْن– تَرابُطًا بَيْنَ «الْحالِ وَالْفِعْلِ» مِنْ خِلالِ تَرابُطِ «الْحالِ بِصاحِبِها»! وَقَدْ فَعَلَ ذلكَ دونَ أَنْ يورِدَ

أَيَّ دَليل منْ واقع اللُّغَة إلّا ما كانَ منْ قَوْل النُّحاة بأَنَّ الْحالَ قَيْدٌ للْفعْل! قالَ: «وَهُوَ[12] عَلى أَيِّ نَحْو لا بُدَّ أَنْ يَرْتَبطَ بصاحبه، وَمنْ خلال تَرابُطه بصاحبه يَترابَطُ مَعَ الْفعْل، لأَنَّ الْحالَ كَما يَقولُ النُّحاةُ قَيْدٌ للْفعْل، فَوُقوعُ الْفعْل منْ فاعله أَوْ عَلى مَفْعوله يَكونُ بذكْر الْحال منْ أَحَدهما أَوْ منْهُما مُقَيَّدًا بهذه الْهَيْئَة»[13]. وَأَظُنُّ أَنَّ قَوْلَ النُّحاة بأَنَّ الْحالَ قَيْدٌ للْفعْل، إذا عَنى بأَنَّ ثَمَّةَ عَلاقَةً بَيْنَهُما، فَإنَّهُ لا يَعْني أَنَّ ثَمَّةَ رَبْطًا أَوْ تَرابُطًا بَيْنَهُما، وَهَلْ كانَ النُّحاةُ عاجزينَ عَنْ ذكْر الرَّبْط أَو الارْتباط أَو التَّرابُط أَو التَّعالُق، أَوْ أَيِّ شَيْء منْ هذا الْقَبيل، في تَوْصيف الْعَلاقَة الْقائمَة بَيْنَ الْحال وَالْفعْل، وَقَدْ رَأَيْناهُمْ فَعَلوا ذلكَ مرارًا في أَبْواب منَ النَّحْو كَثيرَة؟! وَالَّذي أَفْهَمُهُ منْ كَوْن الْحال قَيْدًا للْفعْل لَيْسَ سوى أَنَّها مُخَصِّصَةٌ لَه لا أَكْثَر وَلا أَقَلّ، فَالْعَلاقَةُ عَلاقَةُ تَقْييد أَوْ تَخْصيص، بمَعْنى أَنَّ النّاطقَ اللُّغَويَّ عنْدَما يَسْتَخْدمُ الْحالَ، فَإنَّهُ يَقومُ- في الْحَقيقَة- باخْتيار طَريقَة أَوْ هَيْئَة وَقَعَ بها الْحَدَثُ منْ ضمْن طُرُق أَوْ هَيْئات أُخْرى عَديدَة، وَاحْتمالات كَثيرَة مُتاحَة[14].

وَالْحَقيقَةُ أَنَّنا لَوْ قُلْنا بوُجود عَلاقَة ارْتباط بَيْنَ الْفعْل وَالْحال، لَكُنّا مُحيلينَ في ما نَقول. ذلكَ أَنَّ هُناكَ جُمَلًا كَثيرَةً تَشْتَملُ عَلى أَحْوال وَلا أَثَرَ فيها لأَيِّ فعْل. قالَ (سيبَوَيْه) (180هـ): «وَأَمّا النَّصْبُ فَقَوْلُك: (هذا الرَّجُلُ مُنْطَلقًا)، جَعَلْتَ (الرَّجُل) مَبْنيًّا عَلى هذا، وَجَعَلْتَ الْخَبَرَ حالًا لَهُ قَدْ صارَ فيها، فَصارَ كَقَوْلك: (هذا عَبْدُ اللّه مُنْطَلقًا)»[15]. فَإذا كُنّا نَقَعُ في اللُّغَة عَلى جُمْلَة فيها حالٌ بلا فعْل، فَإنَّنا لا نَعْثُرُ عَلى جُمْلَة فيها حالٌ بلا صاحب حال. وَالْحَظْ أَنَّ كَلامَ (سيبَوَيْه) السّابقَ: «وَجَعَلْتَ الْخَبَرَ حالًا لَهُ قَدْ صارَ فيها»، إنَّما يَعْني أَنَّ صاحبَ الْحال يَصيرُ في الْحال، أَيْ أَنَّ الْحالَ تَتَلَبَّسُ صاحبَها، وَلَعَمْري أَيُّ عَلاقَة ارْتباط يُمْكنُ أَنْ تكونَ أَقْوى منْ عَلاقَة الارْتباط هذه؟! وَلَيْسَ أَدَلَّ عنْدي عَلى وَجاهَة الْقَوْل بقيام الْعَلاقَة بَيْنَ «الْحال وَصاحبها» منْ قَوْل لابْن جِنِّيّ (392هـ) رَأى فيه أَنَّ «الْحال هيَ صاحبَةُ الْحال في الْمَعْنى»[16].

وَرغْمَ ما سَبَقَ، فَإنَّني إخالُ أَنَّ الْعَلاقَةَ الَّتي قَدْ يَشْعُرُ بها الْواحدُ منّا بَيْنَ الْفعْل وَالْحال- في بَعْض الأَمْثلَة-، غَيْرُ خارجَة عَن الآتيَيْن: الأَوَّل: أَنَّ هذه الْعَلاقَةَ ناشئَةٌ بشَكْل طَبيعيٍّ منَ الْعَلاقَة الْكائنَة بَيْنَ مُكَوِّنات الْمُرَكَّب الْواحد، إذْ يُشَكِّلان- الْفعْلُ وَالْحالُ- مُجْتَمعَيْن وَحْدَةً واحدَةً أَوْ مُرَكَّبًا لُغَويًّا فعْليًّا واحدا. فَالأَصْلُ في الْجُمْلَة: (أَقْبَلَ النّاجحُ مَسْرورًا) أَنْ يُجَمَّعَ الْفعْلُ وَالْحالُ مَعًا ليُكَوِّنا عُنْصُرَي الْمُرَكَّب الْفعْليِّ الشّاغل وَظيفَةَ الْمُسْنَد هُنا أَو الْخَبَر، هكَذا: «النّاجحُ (أَقْبَلَ مَسْرورًا)»[17]. وَأَمّا الأَمْرُ الثّاني الَّذي يَجْعَلُنا نَسْتَشْعرُ وُجودَ صلَة ما بَيْنَ الْفعْل وَالْحال، أَنَّ ثَمَّةَ عَلاقَةً تَوْقيتيَّةً أَوْ تَزامُنيَّةً بارزَةً- تامَّةً أَوْ ناقصَة- بَيْنَ الْفعْل وَالْحال، إذْ لا بُدَّ أَنْ يُلَفَّهُما كلَيْهما وَقْتٌ واحد، وَهُوَ ما أَعْلَنَهُ ابْنُ السَّرّاج (316هـ) في النَّصِّ الْمَوْرد سابقًا: «وَالْحالُ إنَّما هيَ هَيْئَةُ الْفاعل أَو الْمَفْعول، أَوْ صفَتُهُ في وَقْت ذلكَ الْفعْل الْمُخْبَر به عَنْه»[18].

أَعْدو عَنَ السّابق أَجْمَعه إلى الْقَوْل: إنَّنا مُطْمَئنّونَ- عَلى أَيِّ حال- إلى أَنَّنا شَهدْنا، في الْجُمَل (10-1)، وَظيفَةً نَحْويَّةً تُبَيِّنُ هَيْئَةَ الذّات أَوْ هَيْئَةَ الاسْم- سَواء كانَ فاعلًا أَوْ مَفْعولا-، بدَليل صحَّة الْجَمْع بَيْنَ «صاحب الْحال» وَالْحال وفاقًا للْعَلاقَة الإسْناديَّة التّامَّة كَما ظَهَر. وَلكنْ إنْ نَحْنُ تَأَمَّلْنا الْجُمَلَ الْمُواليَةَ الْمُشْتَملَةَ عَلى الْمُرَكَّب الْجَرِّيّ[19] (بـ+مَصْدَر)[20]:

(11) أ. تَكَلَّمَ حُسامٌ مَعي بِاسْتِغْراب.

(12) أ. طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ بِاهْتِمام.

(13) أ. تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذِها بِخَجَل.

(14) أ. يَدْرُسُ فَلاحٌ بِاجْتِهاد.

(15) أ. انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بِسُرْعَة.

وَجَدْناهُ–أَي الْمُرَكَّب (بـ+مَصْدَر)– مُفْصِحًا هُوَ الآخَرُ عَنِ الْهَيْئَة، إلّا أَنَّهُ لَيْسَ بِالْمُكْنَة الْجَمْعُ بَيْنَ الاسْم الْوارِد في التَّراكيب (11أ15–أ)، وَالْمُرَكَّب (بـ+مَصْدَر)، ضِمْنَ عَلاقَة إسْناد تامٍّ (إسْناد أَصْليٍّ مَقْصود لذاته)، عَلى غِرار ما فَعَلْناهُ في (1أ10–أ). أَنْعِم النَّظَرَ في ما يَأْتي:

(11) أ. تَكَلَّمَ حُسامٌ مَعي بِاسْتِغْراب.

ب. ×حُسامٌ بِاسْتِغْراب.

(12) أ. طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ بِاهْتِمام.

ب. ×فُؤادٌ بِاهْتِمام.

(13) أ. تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذِها بِخَجَل.

ب. ×وَفاء بِخَجَل.

(14) أ. يَدْرُسُ فَلاحٌ بِاجْتِهاد.

ب. ×فَلاح بِاجْتِهاد.

(15) أ. انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بِسُرْعَة.

ب. ×السَّيّارَةُ بِسُرْعَة.

يَسْتَبِينُ لَكَ مِنْ هذه التَّراكيب أَجْمَعها (11أ–ب، 12أ–ب، 13أ–ب، 14أ–ب، 15أ–ب)، أَنَّها تَشْتَمِلُ عَلى تِبْيان لِلْهَيْئَة، وَلكِنَّ الْمُبَيَّنَةَ هَيْئَتُهُ هذه الْمَرَّة لَمْ يَكُن اسْمًا أَوْ ذاتًا، بَلْ فِعْلًا أَوْ حَدَثًا. فَالْمُرَكَّبُ الْجَرِّيُّ (بِاسْتِغْراب)، في (11أ)، هُوَ مِنْ مُتَعَلِّقات الْفِعْلِ (تَكَلَّمَ)، فَالتَّكَلُّمُ كانَ فيه اسْتِغْراب. وَ(بِاهْتِمام)، في (12أ)، مِنْ مُتَمِّمات الْفِعْلِ (طالَعَ)، فَالْمُطالَعَةُ اشْتَمَلَتْ عَلى الاهْتِمام. وَالْمُرَكَّبُ (بِخَجَل)، في (13أ)، مُبَيِّنٌ هَيْئَةَ الْحَدَث الْمَفْهوم مِنْ فِعْلِ التَّكَلُّم أَو الْفِعْلِ الْمُرَكَّب الْحَرْفِيّ (تَكَلَّمَ مَعَ)[21]، فَالتَّكَلُّمُ انْطَوى عَلى الْخَجَل. وَالْمُرَكَّبُ (باجْتِهاد) يَتَسَلَّطُ عَلى الدِّراسَة لِيَسِمَ هَيْئَتَها في (14أ)، فَالدِّراسَةُ تَمَّتْ بِالاجْتِهاد. وَكَذلِكَ يَفْعَلُ (بِسُرْعَة) مَعَ الانْطِلاقِ في التَّرْكيب (15أ).

وَالْحَقُّ أَنَّ هذا مُصَوَّبٌ–مَرَّةً أُخْرى– مِنْ قِبَلِ أَنَّ (بـ+مَصْدَر) في التَّراكيب (11أ، 12أ، 13أ، 14أ، 15أ) يُشَكِّلُ مَعَ الْفِعْلِ وَحْدَةً واحِدَة، أَوْ مُرَكَّبًا فِعْلِيًّا واحِدا، بِدَليل أَنَّنا نَسْتَطيعُ «تَجْميعَهُما» أَوْ «تَقْويسَهُما» عَلى النَّحْوِ الَّذي تَجِدُهُ في (ج) في كُلٍّ مِمّا يَأْتي:

(11) أ. تَكَلَّمَ حُسامٌ مَعي بِاسْتِغْراب.

ج. حُسامٌ (تَكَلَّمَ بِاسْتِغْراب) مَعي.

(12) أ. طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ بِاهْتِمام.

ج. فُؤادٌ (طالَعَ بِاهْتِمام) الْخَبَرَ.

(13) أ. تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذِها بِخَجَل.

ج. وَفاءُ (تَكَلَّمَتْ بِخَجَل) مَعَ أُسْتاذِها.

(14) أ. يَدْرُسُ فَلاحٌ بِاجْتِهاد.

ج. فَلاحٌ (يَدْرُسُ بِاجْتِهاد).

(15) أ. انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بِسُرْعَة.

ج. السَّيّارَةُ (انْطَلَقَتْ بِسُرْعَة).

وَيُمْكِنُ أَنْ نَسوقَ رائِزًا آخَرَ لِصِحَّة هذا التَّوَجُّه في الْفَهْم، أَعْني صِحَّةَ كَوْن (بـ+مَصْدَر) مُبَيِّنًا لِهَيْئَة الْفِعْلِ (أَوِ الْحَدَث)[22]. ذلِكَ يَكونُ بِعَقْد عَلاقَة إسْناديَّة وَلكِنْ بَيْنَ الْحَدَث الْمُسْتَفاد مِنَ الْفِعْلِ، وَالْحَدَث الْمَفْهوم مِنَ الْمَصْدَر الْمُتَّصِل بِالْباء. وَتَطْبيقًا لِهذا الرّائِز عَلى الْجُمَل الْماضِيَة (11أ، 12أ، 13أ، 14أ، 15أ) يُمْكِنُ الْقَوْل:

(11) أ. تَكَلَّمَ حُسامٌ مَعي بِاسْتِغْراب. -> د. تَكَلُّمُ حُسامٍ فيهِ اسْتِغْراب[23].

(12) أ. طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ بِاهْتِمام. -> د. مُطالَعَةُ فُؤادٍ فيها اهْتِمام.

(13) أ. تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذِها بِخَجَل. -> د. تَكَلُّمُ وَفاءَ فيهِ خَجَل.

(14) أ. يَدْرُسُ فَلاحٌ بِاجْتِهاد. -> د. دِراسَةُ فَلاحٍ فيها اجْتِهاد.

(15) أ. انْطَلَقَتِ السَّيّارَةُ بِسُرْعَة. -> د. انْطِلاقُ السَّيّارَةِ فيهِ سُرْعَة.

وَلَعَلَّ الْبِناءَ لِلْمَفْعولِ يُعَدُّ مِنْ أَدَلِّ الدَّليلِ عَلى وُجوبِ الْقَوْلِ بِوُجودِ تَمايُزٍ بَيْنَ «الْحال» وَ«الْهَيْئَة»، عَلى الأَقَلِّ مِنْ جِهَةِ ارْتِباطِ كُلٍّ مِنْهُما بِعُنْصُرٍ جُمْلِيٍّ مُخْتَلِفٍ عَنِ الآخَر. فَإِنَّ الْمَلْحوظَ أَنَّ اللُّغَةَ عِنْدَ إِرادَةِ بِناءِ الْجُمْلَةِ الآتِيَةِ لِلْمَفْعول: (فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ مُسْرِعًا)، فَإِنَّها تَعْمَدُ إِلى حَذْفِ «الْحال» (مُسْرِعًا) جَنْبًا مَعَ حَذْفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْفاعِل (مُرادٌ)، وَلا تَقْبَلُ إِطْلاقًا الإِبْقاءَ عَلى «الْحال» في هذِهِ الْحال. تَأَمَّل:

فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ مُسْرِعًا. -< ×فُتِحَ الْبابُ مُسْرِعًا. (مَلْحونَة)

فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ مُسْرِعًا. -< فُتِحَ الْبابُ.

وَهذا يَدُلُّ دِلالَةً مُؤَكَّدَةً عَلى أَنَّ الْحالَ (مُسْرِعًا) تَرْتَبِطُ مُباشَرَةً وَبِقُوَّةٍ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْفاعِل، وَأَجْلِ ذلِكَ فَإِنَّ حَذْفَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْفاعِلِ يَسْتَوْجِبُ مِنّا حَذْفَ حالِهِ أَيْضا.

بَيْدَ أَنَّنا شَهِدْنا اللُّغَةَ تَسْمَحُ بِالإِبْقاءِ عَلى «الْهَيْئَة» الْفِعْلِيَّة، كَمُرَكَّبِ الْمَفْعولِ الْمُطْلَقِ الْمَوْصوفِ أَوْ غَيْرِه، حينَ الْبِناءِ لِلْمَفْعول:

فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ فَتْحًا سَريعًا. -< فُتِحَ الْبابُ فَتْحًا سَريعًا. (مَقْبولَة)

فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ سَريعًا. -< فُتِحَ الْبابُ سَريعًا. (مَقْبولَة)

فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ بِسُرْعَةٍ. -< فُتِحَ الْبابُ بِسُرْعَةٍ. (مَقْبولَة)

وَما صَحَّ الإِبْقاءُ عَلى (فَتْحًا سَريعًا) أَوْ (سَريعًا) أَوْ (بِسُرْعَةٍ)، حينَ الْبِناءِ لِلْمَفْعولِ إِلّا لأَنَّ مُتَعَلَّقَها مُبْقًى عَلَيْهِ بَعْدَ التَّحْويل، وَهُوَ الْفِعْل (فُتِحَ). وَأَجْلِ هذا، يُعَدُّ الإِبْقاءُ عَلى (فَتْحًا سَريعًا) بَعْدَ حَذْفِ الْفاعِلِ دَليلًا قَويًّا جَديدًا عَلى تَعَلُّقِ (فَتْحًا سَريعًا) بِالْفِعْل، فيما يُعَدُّ حَذْفُ (مُسْرِعًا) دَليلًا عَلى تَعَلُّقِ (مُسْرِعًا) بِالْفاعِلِ الْمَحْذوف: يَبْقى لِبَقائِه، وَيُحْذَفُ لِحَذْفِه. وَهذا يَعْني–بِطَريقَةٍ أُخْرى- أَنَّ حَذْفَ الْفاعِلِ الَّذي هُوَ (مُرادٌ)، هُوَ الْمُتَسَبِّبُ في مَنْعِ إِيرادِ (مُسْرِعًا) في التَّرْكيب: (فُتِحَ الْباب)، أَوْ أَنَّ الْحالَ (مُسْرِعًا) تُذْكَرُ حينَما يُذْكَرُ الْفاعِل. إِذَنْ، فَثَمَّةَ عَلاقَةٌ بَيْنَ إِيرادِ الْفاعِلِ وَإِيرادِ (مُسْرِعًا).

ثانيًا: (باسْتِغْراب) وَأَخَواتُها بَيْنَ الْهَيْئَةِ وَالْحالِ وَالْمَفْعولِ الْمُطْلَق:

وَيَبْقى صَحيحًا–عَلى أَيِّ حال- أَنَّ ثَمَّةَ عَلاقَةً وَثيقَةً بَيْنَ «الْحال» وَ«الْهَيْئَة»، ذلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُما «كَيْفِيَّةٌ» أَوْ «طَريقَةٌ» في الْحُصولِ أَوِ الْوُقوع، دونَ أَنْ تَتَلَبَّسَ الأولى بِالثّانِيَةِ بِطَبيعَةِ الْحال. وَمِمّا يُشيرُ إِلى هذِهِ الْعَلاقَةِ الْوَثيقَةِ أَنَّكَ-بِبَساطَة- تَسْأَلُ عَنْ كُلٍّ بِـ(كَيْفَ) حَسَبَ الرّائِزِ الَّذي ساقَهُ النُّحاة. قالَ ابْنُ السَّرّاج (316هـ): «وَالْحالُ تَعْرِفُها وَتَعْتَبِرُها بِإِدْخالِ «كَيْفَ» عَلى الْفِعْلِ وَالْفاعِل. تَقولُ: كَيْفَ جاءَ عَبْدُ اللّه؟ فَيَكونُ الْجَوابُ: راكِبًا»[24]. وَعِيارُ النُّحاةِ الْمُطَبَّقُ لِمَعْرِفَةِ الْحالِ، أَيْ (كَيْفَ)، مُنْطَبِقٌ تَمامًا عَلى

ما نَحْنُ بِصَدَد تَجْلِيَته[25]. الْحَظْ:

– كَيْفَ تَكَلَّمَ حُسام؟ –>

تَكَلَّمَ حُسامٌ مُسْتَغْرِبًا./ تَكَلَّمَ حُسامٌ باسْتِغْراب.

– كَيْفَ طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ؟ –>

طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ مُهْتَمًّا./ طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ باهْتِمام.

– كَيْفَ تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذِها؟ –>

تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذِها خَجِلَةً./ تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذِها بِخَجَل.

– كَيْفَ يَدْرُسُ فَلاحٌ؟ –>

يَدْرُسُ فَلاحٌ مُجْتَهِدًا./ يَدْرُسُ فَلاحٌ باجْتِهاد.

– كَيْفَ انْطَلَقَت السَّيّارَةُ؟ –>

انْطَلَقَت السَّيّارَةُ مُسْرِعَةً./ انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بِسُرْعَة.

وَقَدْ يُقالُ: وَلِمَ لا نُسَمّي (باسْتِغْراب) وَأَخَواتِها «أَحْوالًا» اعْتِمادًا عَلى صِحَّة رَوْزِها بِـ(كَيْفَ)؟ لا نَسْتَطيعُ هذا في الْحَقيقَة لِما تَقَرَّرَ سالِفًا مِنْ أَنَّ (باسْتِغْراب) وَأَخَواتِها تَخْتَلِفُ عَنِ الأَحْوالِ في تَسَلُّط الأُولى (أَيِ الْهَيْئات) عَلى الأَحْداث لِتُبَيِّنَ كَيْفِيَّةَ وُقوعِها، فيما تَقومُ الأَحْوالُ بِإِبْراز هَيْئَة الأَسْماء. فَيَحْسُنُ التَّمْييزُ مِنْ بَعْدُ بَيْنَ الْحالِ وَالْهَيْئَة عَلى النَّحْو: الْكَلِمَةُ الْمَنْصوبَةُ الْواصِفَةُ اسْمًا وَصْفًا مُؤَقّتًا تُعَدُّ حالًا، أَمّا الْهَيْئَةُ فَهِيَ الْمُرَكَّبُ الْجَرِّيُّ الْمُكَوَّنُ مِنَ الْباء الْمُتَّصِلَة بِالْمَصْدَر (بـ+مَصْدَر) لِتُؤَشِّرَ إِلى الْكَيْفِيَّة الَّتي وَقَعَ بِها الْفِعْلُ أَوِ الْحَدَث. وَمِنْ أَجْلِ هذا، أَعُدُّ (مُسْتَغْرِبًا) حالًا، وَأَعُدُّ (باسْتِغْراب) هَيْئَةً. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ باخْتِصار: إِنَّ هَيْئات الأَسْماء «أَحْوالٌ»، وَإِنَّ الطَّريقَةَ الَّتي تَقَعُ بِها الأَفْعالُ أَوِ الأَحْداثُ «هَيْئات».

وَمِنْ ناحِيَةٍ أُخْرى نَجِدُ «الأَنْطاكِيّ» قَدْ ذَهَبَ صَوابًا إِلى «أَنَّ كُلًّا مِنَ الْفِعْلِ وَالاسْم يَحْتاجُ إِلى بَيانِ الْهَيْئَة»، بَيْدَ أَنَّهُ حَصَرَ «الْهَيْئَةَ» في ما كانَ مِنَ الْكَلام اسْمًا مَنْصوبًا: حالًا أَوْ مَفْعولًا مُطْلَقًا. قالَ مُعْجِبًا: «إِنْ بَيَّنْتَ بِالْمَنْصوب هَيْئَةَ الْفِعْل، فَأَنْتَ بِذلِكَ تَخْدِمُ الْفِعْلَ لا الاسْم، وَمَنْصوبُكَ إِذَنْ مَفْعولٌ مُطْلَق، وَإِنْ بَيَّنْتَ بِالْمَنْصوب هَيْئَةَ الاسْم، فَأَنْتَ بِذلِكَ تَخْدِمُ الاسْمَ لا الْفِعْلَ، وَمَنْصوبُكَ إِذَنْ حال»[26]. وَيُسْتَفادُ مِنْ هذا في رَفْد رَفْض التَّسْوِيَة بَيْنَ الْهَيْئَة وَالْحال. إِذِ اللُّغَةُ نَفْسُها تُفَرِّقُ بَيْنَهُما، تارَةً مِنْ طَريق الْحال (مُسْتَغْرِبًا)، وَتارَةً أُخْرى مِنْ طَريق الْهَيْئَة (باسْتِغْراب) وَأَضْرابِها، وَتارَةً ثالِثَةً مِنْ طَريق الْمَفْعولِ الْمُطْلَق.

وَقَدْ يُقالُ –مِنْ جِهَة أُخْرى–: إِنَّ تَطْبيقَ رَأْي الأَنْطاكِيِّ، بِقَليلٍ مِنَ التَّوَسُّع، قَدْ يُفْضي إِلى عَدِّ مُرَكَّب الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر) مَفْعولًا مُطْلَقًا عَلى اعْتِبار أَنَّ (بـ+مَصْدَر) يَخْدِمُ الْفِعْلَ –عَلى ما بَيَّنّا كَثيرًا–، وَالأَنْطاكِيُّ يَنُصُّ عَلى أَنَّ الْمَنْصوبَ الَّذي يُبَيِّنُ هَيْئَةَ الْفِعْلِ إِنَّما هُوَ مَفْعولٌ مُطْلَق. أَقولُ: لا يُرى بَأْسٌ كَبيرٌ في ذلِكَ الاسْتِنْتاج، فَيُمْكِنُ عَدُّ مُرَكَّب الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر) مَفْعولًا مُطْلَقًا ما دامَ يَخْدِمُ الْفِعْلَ حَسَبَ ما أَوْرَدَهُ الأَنْطاكِيّ، وَإِنْ كانَ الأَنْطاكِيُّ قَدْ قَصَدَ بِكَلامِه الاسْمَ الْمَنْصوبَ لَيْسَ غَيْر. أَقولُ: لا بَأْسَ كَبيرًا في ذلِكَ، خاصَّةً إِذا أَدْرَكْنا أَنَّ الْمُرَكَّبَ الْجَرِّيَّ (بـ+مَصْدَر) يُظْهِرُ، في بَعْض الأَحْيان، قَدْرًا مِنَ التَّماهي مَعَ مُرَكَّب الْمَفْعول الْمُطْلَق الْمُبَيَّن نَوْعُه[27]: (الْمَفْعول الْمُطْلَق الْمُضاف+الْمُضاف إِلَيْه)، وَ(الْمَفْعول الْمُطْلَق الْمَوْصوف+صِفَته). أُدْرُس الآتي:

ضَرَبَهُ ضَرْبَ الْوُحوش.

ضَرَبَهُ ضَرْبًا وَحْشِيًّا.

ضَرَبَهُ بِوَحْشِيَّةٍ[28].

فَمِنَ الصَّحيح جِدًّا أَنَّ (ضَرْبَ الْوُحوش) وَ(ضَرْبًا وَحْشيًّا) وَ(بوَحْشيَّة)، تُؤَدّي وَظيفَةً واحدَةً هيَ التَّعْبيرُ عَنْ هَيْئَة الْفعْل، أَيْ هَيْئَة الضَّرْب أَوْ كَيْفيَّته أَوْ نَوْعه أَوْ دَرَجَته، إلّا أَنَّ الإشْكالَ الْحَقيقيَّ، وَهُنا نَفْتَرقُ في الرَّأْي مَعَ الأَنْطاكيّ، أَنَّ مُصْطَلَحَ (الْمَفْعول الْمُطْلَق) نَفْسَهُ لا يُشيرُ–مِنْ قَريب أَوْ بَعيد– إلى وَظيفَة الْهَيْئَة تلْك. وَمِنْ أَجْل ذلكَ أَجِدُني راغبًا بشدَّة عَنْ مُصْطَلَح (الْمَفْعول الْمُطْلَق) أَيْضًا في تَسْميَة الْمُرَكَّبات: (ضَرْبَ الْوُحوش) وَ(ضَرْبًا وَحْشيًّا) وَ(بوَحْشيَّة)، مُسْتَحبًّا تَسْميَتَها، هيَ وَغَيْرُها، بـ(مُرَكَّبات الْهَيْئَة في الْعَرَبيَّة)[29].

وَلَقَدْ أَدْرَكَ مِنْ قَبْلُ «مَحْمود حُسْني مَغالسَة» ظاهرَةَ مَجيء الْحال منَ الْفعْل، وَإِنْ جاءَ كَلامُهُ عَنْ مَوْطن منَ اللُّغَة يَبْعُدُ عَمّا نَحْنُ بصَدَد دَرْسه. قالَ: «قَدْ يَأْتي الْحالُ يُبَيِّنُ حالَ الْفعْل لا حالَ الاسْم، وَذلكَ كَقَوْلكَ: (رَتَّبْتُ كُتُبي أَعْلاها أَفْضَلَ منْ تَرْتيبي أَسْفَلَها). فَالْحالُ هُنا «أَفْضَل» وَهُوَ حالٌ يُبَيِّنُ حُدوثَ الْفعْل، فَفعْلُ التَّرْتيب لأَعْلى كُتُبي أَفْضَلُ منْ فعْل التَّرْتيب لأَسْفَلها، وَلكنْ كَيْفَ تَسْأَل، سَيَكونُ السُّؤالُ: كَيْفَ رَتَّبْتَ كُتُبَك؟ وَمثْلُ ذلكَ: (اعْتَنَيْتُ بالْوَرْد أَشَدَّ منْ عنايَتي بالشَّجَر في حَديقَتي). وَ«أَشَدَّ» حالٌ لفعْل الاعْتناء، وَلذلكَ فَالسُّؤالُ: كَيْفَ اعْتَنَيْنَ[30] بالْوَرْد؟»[31].

وَمَهْما يَكُنْ منْ أَمْر، فَإِنَّ الْهَيْئَةَ وَالْحالَ في الْعَرَبيَّة تَتَقاطَعان–وَإِنْ جُزْئيًّا– بما نَجِدُهُ حاضرًا في نَحْو الإنْجليزيَّة وَغَيْرها حينَما نَراهُمْ يَتَحَدَّثونَ عَنْ مَفْهوم الـ(Adverb). وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْه "مُحَمَّد علي الْخولي" (الظَّرْف) أَوْ (مُخَصِّص الْفعْل)، وَأَحْسَبُ أَنَّ التَّسْميَةَ الثّانيَةَ أَدَقُّ وَأَقْرَبُ إلى الأَفْهام وَإلى الْوَظيفَة الْحَقيقيَّة الَّتي يَضْطَلعُ بها الـ(Adverb).

قالَ في مُعْجَمه: "Adverb: ظَرْف. مُخَصِّص الْفعْل: كَلمَةٌ تَصفُ الْفعْلَ منْ حَيْثُ زَمانُهُ أَوْ مَكانُهُ أَوْ تَكْرارُهُ أَوْ دَرَجَتُهُ أَوْ كَيْفيَّتُه. وَهُوَ أَنْواع: فَقَدْ يَكونُ ظَرْفَ زَمان مثْلَ: now، أَوْ ظَرْفَ مَكان مثْلَ: here، أَوْ ظَرْفَ دَرَجَة مثْلَ: very، أَوْ ظَرْفَ كَيْفيَّة مثْلَ:quickly ، أَوْ ظَرْفَ تَكْرار مثْلَ:usually . وَتَعْريفُهُ صَرْفيًّا هُوَ الْكَلمَةُ الَّتي تَنْتَهي باللّاحقَة –ly وَالَّتي يَقْبَلُ جذْرُها er – وَest–). ل[32]

ثالثًا: هَلْ مِنْ فَرْق دلالي بَيْنَ «الْحال» (مُسْتَغْربًا) وَ«الْهَيْئَة» (باسْتغْراب)، وَأَضْرابهما؟

وَلَقَدْ يُظَنُّ أَنَّهُ تَتَأَسَّسُ، عَلى بَعْض ما سَلَفَ، ضَرورَةُ التَّفْريق بَيْنَ (باسْتغْراب) وَ(مُسْتَغْربًا)، (باهْتمام) وَ(مُهْتَمًّا)، (بخَجَل) وَ(خَجلَةً)، (باجْتهاد) وَ(مُجْتَهدًا)، (بسُرْعَة) وَ(مُسْرعَةً)– أَمْثالًا–، في الْجُمَل الآتيَة:

(11) أ. تَكَلَّمَ حُسامٌ مَعي باسْتغْراب.

أ›. تَكَلَّمَ حُسامٌ مَعي مُسْتَغْربًا.

(12) أ. طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ باهْتمام.

أ›. طالَعَ فُؤادٌ الْخَبَرَ مُهْتَمًّا.

(13) أ. تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذها بخَجَل.

أ›. تَكَلَّمَتْ وَفاءُ مَعَ أُسْتاذها خَجلَةً.

(14) أ. يَدْرُسُ فَلاحٌ باجْتهاد.

أ›. يَدْرُسُ فَلاحٌ مُجْتَهدًا.

(15) أ. انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بسُرْعَة.

أ›. انْطَلَقَت السَّيّارَةُ مُسْرعَةً.

فَلَقَدْ يُقالُ–مَثَلًا–: إنَّ (مُسْتَغْربًا) في (11أ›) تُشيرُ إلى حالِ حُسامٍ نَفْسه لَحْظَةَ تَكَلُّمه، بأَنْ يَكونَ

قَدْ ظَهَرَتْ مِنْهُ عَلاماتٌ جَسَديَّةٌ ما (إشارَة، حَرَكَة، إيماءَة) مُفْهِمَةٌ بِأَنَّهُ كانَ مُسْتَغْرِبًا، وَلا عَلاقَةَ لِلأَمْرِ بِحَدَث التَّكَلُّم نَفْسِه. بِطَريقَة أُخْرى: لَرُبَّما كانَ حُسامٌ قَدْ أَنْتَجَ كَلامَهُ مُصاحِبًا إيّاهُ بِتَمْثيل جَسَديٍّ أَوْ حَرَكات هِيَ الَّتي أَبْلَغَت المُتَلَقِّيَ بِأَمْرِ الاسْتِغْراب، فَقالَ: (تَكَلَّمَ حُسامٌ مَعي مُسْتَغْرِبًا)، كَأَنْ يَكونَ قَدْ وَسَّعَ مِنْ فَتْح عَيْنَيْه، أَوْ رَفَعَ حاجِبَيْه، أَوْ زَمَّ شَفَتَيْه قالِبًا شَفَتَهُ السُّفْلى-هَوْنًا-، أَوْ مالَ بِرَأْسِه إلى الأَمام، ... إلخ. أَمّا (باسْتِغْراب)، في (11أ)، فَقَدْ يُقالُ إنَّها لا تَتَعَلَّقُ بِذات حُسام أَوْ حالِه أَوْ جِسْمِه أَوْ حَرَكاتِه، بَلْ لَعَلَّها تَرْتَدُّ إلى كَلامِه أَوْ تَكَلُّمِه مَعي، لَعَلَّها تومِئُ- حَسْبُ- إلى الكَيْفِيَّة الَّتي تَمَّ فيها حَدَثُ التَّكَلُّم نَفْسُه، بِأَنْ يَكونَ حُسامٌ قَدْ أَدّى كَلامَهُ-مَثَلًا- بِعُلُوِّ النَّبْرَة، أَوْ بِتَضْخيم الصَّوْت، أَوْ بِتَنْغيم مُعَيَّن.

وَشَيْءٌ قَريبٌ مِنْ ذاكَ قَدْ يُقالُ عِنْدَ التَّفْريق بَيْنَ (غاضِبَةً) وَ(بِغَضَب)-مَثَلًا- في كُلٍّ مِنَ الْجُمْلَتَيْن: (نَظَرَتْ إلَيْه غاضِبَةً) وَ(نَظَرَتْ إلَيْه بِغَضَب)، وَذلِكَ مِنْ قِبَلِ أَنَّ (غاضِبَةً)، في الْجُمْلَة الأولى، قَدْ يَرى امْرُؤٌ أَنَّها تُشيرُ إلى حال النّاظِرَة لَحْظَةَ نَظَرِها، لا حالِ النَّظَر عَيْنِه. فَقَدْ يَكونُ أَنَّها كانَتْ غاضِبَةً مِنْ طَريقِ غَيْرِ طَريقِ النَّظَر، أَوْ أَنَّ غَيْرَ طَريقِ النَّظَرِ كانَ لِلرّائي مُتَبَدِّيًا أَكْثَرَ مِنَ النَّظَرِ نَفْسِه، كَأَنْ تَكونَ الْغاضِبَةُ قَدْ عَضَّتْ عَلى لِسانِها تَعْبيرًا عَنْ غَضَبِها، أَوْ رَفَعَتْ حاجِبَيْها فَقَط، أَوْ أَتَتْ بِحَرَكَة مِنْ أَصابِعِ إحْدى كَفَّيْها مُتَعارَف عَلَيْها، أَوْ مَرَّرَتْ أَصابِعَ إحْدى يَدَيْها، مِنْ أَعْلى إلى أَسْفَل، عَلى جانِبَيْ ذَقْنِها،... أَمّا (بِغَضَب) في الثّانِيَة، فَهِيَ تِبْيانٌ لِهَيْئَة الْحَدَث، حَدَث النَّظَر، مِثْل أَنْ تُضَيِّقَ فَتْحَةَ إحْدى عَيْنَيْها... فَكَأَنَّ الْباءَ الْمَقْرونَةَ بِالْمَصْدَر آتِيَةٌ عَلى مَعْنى (بِطَريقَة فيها...) أَوْ (عَلى نَحْوٍ فيه...) تِبْيانًا لِلْحَدَث كَيْفَ تَمَّ (أَوْ كَيْفَ سَيَتِمّ). فَمَعْنى (نَظَرَتْ إلَيْه بِغَضَب): نَظَرَتْ إلَيْه بِطَريقَة أَوْ كَيْفِيَّة أَوْ هَيْئَة فيها غَضَبٌ، أَوْ عَلى نَحْوٍ فيه غَضَبٌ.

أَقولُ: مَهْما حاوَلْنا تَكَلُّفَ مَشَقَّة إقامَة الْفَرْق بَيْنَ (مُسْتَغْرِبًا) وَ(باسْتِغْراب)-وَأَمْثالِهما-، فَإِنَّ الأَمْرَ-مِنْ ناحِيَة أولى- لَنْ يَطَّرِدَ لَنا، وَهُوَ-مِنْ ناحِيَة ثانِيَة- فَرْقٌ يَنْطَوي عَلى كَثير أَوْ قَليل مِنَ التَّكَلُّف وَالْغَرابَة الْواضِحَيْن. أُريدُ أَنْ أَنْتَهِيَ إلى الْقَوْل: إنَّنا إذا قُلْنا: (انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بِسُرْعَة)، فَإِنَّ الْمَعْنى الْمُسْتَنْتَجَ بَدَهيًّا هُوَ أَنَّ الانْطِلاقَ-الَّذي كانَ مِنَ السَّيّارَة- كانَ سَريعًا، وَأَنَّ السَّيّارَةَ-الَّتي كانَ مِنْها الانْطِلاق- كانَتْ مِنْ ثَمَّ سَريعَة، لأَنَّ الانْطِلاقَ السَّريعَ إذا كانَ قَدْ صَدَرَ مِنَ السَّيّارَة، فَمِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ تَكونَ السَّيّارَةُ سَريعَةً في وَقْت الانْطِلاق السَّريع- عَلى الأَقَلّ- فَكانَ أَنْ قيلَ كَذلِك: (انْطَلَقَت السَّيّارَةُ مُسْرِعَةً). وَكَذا في: (يَدْرُسُ فَلاحٌ باجْتِهاد) (يَدْرُسُ فَلاحُ الدَّرْسَ مُجْتَهِدًا)، فَالْمَعْنى-في الْمُحَصِّلَة- هُوَ أَنَّ الدِّراسَةَ تَمَّتْ باجْتِهاد، وَأَنَّ فَلاحًا كانَ-آنَ صُدورِ الاجْتِهاد مِنْهُ عَلى الأَقَلّ- مُجْتَهِدًا، لأَنَّ الدِّراسَةَ الَّتي وَقَعَتْ باجْتِهاد، وَقَعَتْ مِنْ مُجْتَهِد بِالضَّرورَة، وَهُوَ فَلاح...، وَهكَذا.

وَمِنْ أَجْل هذا وَغَيْرِه في الْحَقيقَة، حاوَلْتُ-في بَحْث آخَرَ- أَنْ أَرُدَّ ظُهورَ تَراكيب الْهَيْئَة في اللُّغَة لا إلى فَرْق دلالي، بَلْ إلى أَسْباب أُخْرى اسْتَعْرَضْتُها هُناكَ مُسْتَنْجِدًا بِاللهِ وَحْدَه، مُسْتَقْوِيًا بِه رَبّي وَمَوْلاي. فَلَقَدْ تَوَسَّلْتُ، هُنالِكَ، بِالنَّظَر اللُّغَوِيِّ التّاريخِيِّ بُغْيَةَ تَفْسير تَسايُر تَراكيب الْهَيْئَة جَنْبًا في اللُّغَة الْعَرَبِيَّة. وَكُنْتُ افْتَرَضْتُ أَنَّ التَّعْبيرَ عَنِ الْهَيْئَة الاسْمِيَّة سابِقٌ، في الظُّهور اللُّغَوِيِّ التّاريخِيِّ، التَّعْبيرَ عَنِ الْهَيْئَة الْحَدَثِيَّة أَوِ الْفِعْلِيَّة في اللُّغَة الْعَرَبِيَّة. وَمِنْ هُنا فَإِنّي رَأَيْتُ أَنَّ

(الْحالَ)-أَي الْهَيْئَة الاسْميَّة- أَقْدَمُ ظُهورًا في اللُّغَة منَ (الْهَيْئَة)-أَي الْفعْليَّة-. كَما افْتَرَضتُ أَنَّ الْمَفْعولَ الْمُطْلَقَ الْمَوْصوفَ هُوَ أَوَّلُ الْهَيْئات الْفعْليَّة ظُهورًا في اللُّغَة الْعَرَبيَّة. وَمنْ هُنا، أَيْضًا، رَأَيْتُ أَنَّ ظُهورَ وَظيفَة (الْحال) سابقَةٌ ظُهورَ وَظيفَة (الْمَفْعول الْمُطْلَق) في اللُّغَة منَ الْوجْهَة التّاريخيَّة. وَقَد افْتَرَضتُ ما افْتَرَضتُهُ اعْتمادًا عَلى الْمُسَلَّمَة الَّتي تَرى أَنَّ حاجَةَ الإنْسان للتَّعْبير عَنْ هَيْئَة نَفْسه، أَوْ هَيْئَة ذاته، يَنْبَغي أَنْ تَكونَ أَسْبَقَ وَأَشَدَّ منْ حاجَته للتَّعْبير عَنْ هَيْئَة ما قَدْ يَصْدُرُ عَنْهُ، أَوْ عَنْ ذاته، منْ أَفْعال (أَوْ أَحْداث). وَالْحالُ وَصْفٌ للذَّوات: تَخْدمُ هَيْئَةَ الاسْم، أَوْ تَصفُ هَيْئَةَ الذّات، بَيْنَما يَخْدمُ الْمَفْعولُ الْمُطْلَقُ الْفعْلَ أَوْ يَصفُ الْحَدَث. وَوَصْفُ الذَّوات، لا ما يَصْدُرُ عَنْها، منْ أَوَّل ما تَفَتَّقَ عَنْهُ ذهْنُ الإنْسان.

وَقَدْ أَفْضت الدِّراسَةُ التَّطَوُّريَّةُ إلى الْقَوْل بأَنَّ تَراكيبَ الْهَيْئَة في اللُّغَة قَدْ نَحَت الْمَنْحى التَّطَوُّريَّ الآتي وَهُوَ يَشْمَلُ خَمْسَ مَراحلَ لُغَويَّة تَطَوُّريَّة:

الْمَرْحَلَة اللُّغَويَّةُ الأولى: اقْتُصرَ فيها عَلى الْهَيْئَة الاسْميَّة: (فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ مُسْرعًا).

الْمَرْحَلَة اللُّغَويَّةُ الثّانيَة: ظَهَرَتْ فيها الْهَيْئَةُ الْفعْليَّةُ الأولى، وَهيَ الْمَفْعولُ الْمُطْلَقُ الْمَوْصوفُ (فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ فَتْحًا سَريعًا).

الْمَرْحَلَة اللُّغَويَّةُ الثّالثَة: حَلَّتْ فيها صفَةُ الْمَفْعول الْمُطْلَق مَحَلَّهُ-حَيْثُما كانَ ذلكَ مُتاحًا-: (فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ سَريعًا).

الْمَرْحَلَة اللُّغَويَّةُ الرّابعَة: ظَهَرَ فيها الْمُرَكَّبُ الْجَرِّيُّ (بـ+مَصْدَر): (فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ بسُرْعَة).

الْمَرْحَلَة اللُّغَويَّةُ الْخامسَة: ظَهَرَتْ فيها الْمُرَكَّباتُ: (بشَكْل/بطَريقَة/عَلى نَحْو) مَتْبوعَة بصفَة: (فَتَحَ مُرادٌ الْبابَ بشَكْلٍ سَريع/بطَريقَةٍ سَريعَة/عَلى نَحْوٍ سَريع).

وَيَتَوَضَّحُ منْ هذا أَنَّ الْهَيْئَةَ الاسْميَّةَ في الْعَرَبيَّة واحدَة، وَهيَ مُنْحَصرَةٌ في الْحال، أَمّا هَيْئاتُ الْفعْل أَوِ الْحَدَث فَتَتَعَدَّدُ عَلى النَّحْو الَّذي رَأَيْناه.

هَلْ تَتَحَوَّلُ كُلُّ «حالٍ» إلى «هَيْئَة»؟

الْقانونُ الأَوَّلُ الَّذي يَحْكُمُ مَجيءَ مُرَكَّب الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر) في اللُّغَة الْعَرَبيَّة:

إنْ رَجَعْنا النَّظَرَ في الْجُمَل الْفائتَة (5-1)، اكْتَشَفْنا إمْكانَ الإتْيان بواصف من اثْنَيْن: واصف يَصفُ الاسْمَ وَيَكونُ عنْدَئذٍ حالًا، أَوْ واصف يَصفُ الْفعْلَ وَيَكونُ عنْدَئذٍ هَيْئَة:

(1) مَشى زَيْدٌ بَطيئًا. (حال)

-> مَشى زَيْدٌ ببُطْء. (هَيْئَة)

(2) تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوع ساخرًا. (حال)

-> تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوع بسُخْريَة. (هَيْئَة)

(3) نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ غاضبَةً. (حال)

-> نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ بغَضَب. (هَيْئَة)

(4) يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة واثقًا. (حال)

-> يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة بثقَة. (هَيْئَة)

(5) أَقْبَلَ النّاجحُ مَسْرورًا. (حال)

-> أَقْبَلَ النّاجحُ بسُرور. (هَيْئَة)

وَلكنْ، هَلْ يَصحُّ أَنْ تَتَحَوَّلَ كُلُّ حالٍ إلى هَيْئَة كَالَّذي تَمَثَّلَ لَنا في الْجُمَل الأَخيرَة؟ لامْتحان هذا الأَمْر أَنْعم النَّظَرَ تارَةً أُخْرى في الْجُمَل (10-6) الْمُعادَة هُنا للتَّسْهيل:

(6) شَرِبْتُ الْحَليبَ باردًا. (حال) ->

(6ب) *شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة.

(7) سَمِعْتُ الْمَريضَ مُتَأَوِّهًا. (حال) –>

(7ب) ×سَمِعْتُ الْمَريضَ بِتَأَوُّه[33].

(8) شاهَدتُّ الطُّيورَ مُهاجِرَةً. (حال) –>

(8ب) ×شاهَدتُّ الطُّيورَ بِهِجْرَة.

(9) رَكِبْتُ السَّيّارَةَ مُسْرِعَةً. (حال) –>

(9ب) رَكِبْتُ السَّيّارَةَ بِسُرْعَة.

(10) قالَ عامِرٌ رَأْيَهُ واضِحًا. (حال) –>

(10ب) قالَ عامِرٌ رَأْيَهُ بِوُضوح.

الْحَظ أَنَّ اسْتِبْدالَ الْهَيْئَة بِالْحالِ في الْجُمَل (6–10) لَمْ يَكُنْ عَلى دَرَجَة واحِدَة مِنْ حَيْثُ إِنْتاجُ الْجُمَل الْمُصَوَّبَة وَالْمُخَطَّأَة، فَقَدْ تَوَلَّدَ مِنْ ذلكَ أَنْ كانَتْ بَعْضُ التَّراكيبِ صَحيحَةً (9ب، 10ب)، وَكانَتْ تَراكيبُ أُخْرى مُخَطَّأَة (6ب، 7ب، 8ب). وَأَظُنُّ أَنَّ في هذا، تارَةً أُخْرى، مَدْعاةً قَوِيَّةً إِلى التَّفْريقِ بَيْنَ «الْحال» وَ«الْهَيْئَة». وَلكِنْ، لِمَ كانَ صَوابًا اسْتِخْدامُ «الْهَيْئَة» في قَوْلِنا: (رَكِبْتُ السَّيّارَةَ بِسُرْعَة)، وَ(قالَ عامِرٌ رَأْيَهُ بِوُضوح)، فيما كانَ مِنَ الْخَطَأ اسْتِخْدامُ «الْهَيْئَة» في كُلٍّ مِنْ: (*شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة)، وَ(*سَمِعْتُ الْمَريضَ بِتَأَوُّه)، وَ(*شاهَدتُّ الطُّيورَ بِهِجْرَة)؟!

وَجْهُ الْخَطَأ في التَّرْكيب: (*شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة) مَرْدودٌ–في ما أَحْسب– إِلى أَنَّ الْبُرودَةَ لا يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ طَريقَةً أَوْ هَيْئَةً أَوْ كَيْفِيَّةً لِلشُّرْب أَوْ في الشُّرْب، وَذلكَ طِبْقًا لِلْحَقائِقِ الْكَوْنِيَّةِ الْمَعيشَة. فَلا يُشْرَبُ الْحَليبُ–وَلا أَيُّ مَشْروب آخَرَ بِطَبيعَة الْحال– بِبُرودَة. وَلكِنْ إِنْ أَرَدتَّ التَّعْبيرَ عَنْ هَيْئَة الْحَليب بِالْبُرودَة، لَمْ يَكُنْ أَمامَكَ–في هذه الْحال– إِلّا الْحال: (شَرِبْتُ الْحَليبَ باردًا)[34]. وَكَذلكَ لا يَصِحُّ–بِأَيِّ مِقْدار– أَنْ يَكونَ التَّأَوُّهُ مُعَبِّرًا عَنِ الْكَيْفِيَّة الَّتي بِها حَدَثَ الشُّرْب في (7ب)، كَما أَنَّ الْهِجْرَةَ في (8ب) لا تَكونُ طَريقَةً في الْمُشاهَدَة. وَإِذا لَمْ يَصِحَّ في (6ب، 7ب، 8ب) مَجيءُ (الْبُرودَة، وَالتَّأَوُّه، وَالْهِجْرَة) هَيْئَات لِـ(الشُّرْب، وَالسَّماع، وَالْمُشاهَدَة)– عَلى التَّوالي–، فَإِنَّ هذا لا يُفْهِمُ أَنَّ أَفْعالَ (الشُّرْب، وَالسَّماع، وَالْمُشاهَدَة) لا هَيْئَات لَها بِالْمُطْلَق. الأَمْرُ غَيْرُ خارِج عَنْ أَنَّ الْبُرودَةَ تَحْديدًا لا تَصْلُحُ أَنْ تَكونَ هَيْئَةً لِلشُّرْب، وَلكِنْ تَصْلُحُ لِلشُّرْب هَيْئَةٌ بَلْ هَيْئاتٌ أُخْرى. فَقَدْ يُشْرَبُ الْحَليبُ بِهَيْئَة الاسْتِعْجال–مَثَلًا–، فَيُقالُ صَوابًا عِنْدَئِذ:

– شَرِبْتُ الْحَليبَ مُسْتَعْجِلًا. (حال) –>

شَرِبْتُ الْحَليبَ بِاسْتِعْجال. (هَيْئَة)

وَلَئِنْ لَمْ يَصِحَّ، كَذلكَ، وُرودُ التَّأَوُّه هَيْئَةً لِلسَّماع في (*سَمِعْتُ الْمَريضَ بِتَأَوُّه)، فَإِنَّ هَيْئات أُخْرى تَصِحُّ لِلسَّماع. إِذْ قَدْ يَأْتي الْخُشوعُ أَو الإِنْصاتُ–مَثَلَيْن– هَيْئَةً مِنَ الْهَيْئات الصّالِحَة لِلسَّماع في الْواقِعَيْن اللُّغَوِيِّ وَالْمَعيش، فَيَجوزُ مِنّا الْقَوْل:

– سَمِعْتُهُ خاشِعًا. (حال) –>

سَمِعْتُهُ بِخُشوع. (هَيْئَة)

– سَمِعْتُهُ مُنْصِتًا. (حال) –>

سَمِعْتُهُ بِإِنْصات. (هَيْئَة)

وَكَذا الأَمْرُ بِالنِّسْبَة لِلْمُشاهَدَة وَالْهِجْرَة. فَإِذا كانَ الْقَوْلُ: (*شاهَدتُّ الطُّيورَ بِهِجْرَة) مَلْحونًا، فَإِنَّ ما يَلي لا شيَةَ فيه:

– شاهَدتُّ الطُّيورَ مُتَمَعِّنًا. (حال) –>

شاهَدتُّ الطُّيورَ بِتَمَعُّن. (هَيْئَة)

– شاهَدتُّ الطُّيورَ مُنْدَهِشًا. (حال) –>

شاهَدتُّ الطُّيورَ بِاندِهاش. (هَيْئَة)

وَإلى السَّبَب السّابق نَفْسه قَدْ يُرَدُّ اللَّحْنُ في التَّراكيب الآتيَة، وَهيَ ممّا يَدورُ على أَلْسنَة مُتَعَلِّمي الْعَرَبيَّة النّاطقينَ بغَيْرها وَأَقْلامهمْ حينَما يُحاولونَ التَّطْبيقَ بَعْدَ دراستهمْ مَبْحَثَ الْحال فَيَتَعَثَّرونَ، دونَ مُتَعَلِّميها النّاطقينَ بها–بطَبيعَة الْحال–:

(16) *شَرِبْتُ الْعَصيرَ بوُقوف.

(17) *شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بجُلوس.

(18) *لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ بجِدَّة.

إذ الْوُقوفُ لا يَكونُ هَيْئَةً في الشُّرْب–في أَيِّ حال منَ الأَحْوال–، وَلذلكَ كانَ التَّرْكيبُ (16) مَرْفوضا، أَمارَةُ هذا أَنَّهُ–بتَخَيُّل افْتراضيّ– يَكْفي، لمَعْرفَة هَيْئَة الشُّرْب، أَنْ نُرَكِّزَ عَدَسَةَ الْكاميرا عَلى رَأْس الشّارب أَوْ فَمه وَيَده... وَلَيْسَ الْجُلوسُ منَ الْهَيْئات الصّالح مَجيئُها للشَّرْح، فَرُفضَ التَّرْكيبُ (17)، وَلَيْسَتِ الْجِدَّةُ هَيْئَةً للُّبْس مَهْما كانَت الظُّروف، وَمنْ هُنا لَمْ يُسْتَسَغ التَّرْكيبُ (18). وَلكنْ يَصحُّ في مُقابل ذلكَ كُلِّه–دونَ أَيِّ بَأْس– أَنْ يَكونَ الْوُقوفُ حالًا للشّارب، وَأَنْ يَكونَ الْجُلوسُ حالًا للشّارح أَوِ الْمُعَلِّم، وَأَنْ تَكونَ الْجِدَّةُ حالًا منَ الثَّوْب:

(16أ) شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقفًا.

(17أ) شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ جالسًا.

(18أ) لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ جَديدًا.

فَلَئِنْ صَحَّ مَجيءُ الْوُقوف حالًا للشّارب: (شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقفًا)، فَإِنَّهُ لا يَصحُّ مَجيءُ الْوُقوف هَيْئَةً للشُّرْب أَوْ هَيْئَةً في الشُّرْب: (*شَرِبْتُ الْعَصيرَ بوُقوف)، لأَنَّهُ لا عَلاقَةَ للُوُقوف بفعْل الشُّرْب، ذلكَ أَنَّ الشُّرْبَ يَتِمُّ–حَسْبُ– برَفْع كَأْس أَوْ نَحْوه نَحْوَ الْفَم وَتَجَرُّع ما في الْكَأْس. وَبالْقَدْر نَفْسه: إنْ صَحَّ مَجيءُ الْجُلوس حالًا لِمَنْ كانَ شارحًا الدَّرْسَ وَهُوَ الْمُعَلِّم: (شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ جالسًا)، فَإِنَّ الْجُلوسَ لا يَصحُّ مَجيئُهُ هَيْئَةً للشَّرْح نَفْسه: (*شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بجُلوس). وَإذا صَحَّ إيرادُ الْجِدَّة حالًا للُمَلْبوس وَهُوَ الثَّوْب: (لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ جَديدًا)، فَمنْ غَيْر الصَّحيح الإتْيانُ بالْجِدَّة هَيْئَةً للُّبْس: (×لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ بجِدَّة).

وَحينَ النَّظَر في الْجُمْلَتَيْن الْفارطَتَيْن (9ب): (رَكِبْتُ السَّيّارَةَ بسُرْعَة)، وَ(10ب): (قالَ عامرٌ رَأْيَهُ بوُضوح)، نُدْرِكُ سَبَبَ تَجْويز الْعَرَبيَّة إيرادَ مُرَكَّب الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر) في كُلٍّ منْهُما، حَيْثُ منَ الْمُمْكن بسُهولَة أَنْ تُعَدَّ السُّرْعَةُ هَيْئَةً للرُّكوب في (رَكِبْتُ السَّيّارَةَ بسُرْعَة)، وَهذا–بطَبيعَة الْحال– اتِّكاءً على الْحَقائق الْكَوْنيَّة الْمَعيشَة. كَما أَنَّ منَ الْمَشْهود–بكُلِّ يُسْر– أَنْ يَكونَ الْوُضوحُ طَريقَةً أَوْ هَيْئَةً للْقَوْل في (قالَ عامرٌ رَأْيَهُ بوُضوح). وَلَعَلَّ في هذا كُلِّه–كَرَّةً أُخْرى– ما يَشي بصَواب الدَّعْوَة الَّتي أَطْلَقْتُها قَبْلًا، الْمُتَضَمِّنَة ضَرورَةَ التَّفْريق بَيْنَ الْهَيْئَة وَالْحال.

إنْ أُريدُ إلّا الْقَوْلَ: إنَّ الْقانونَ (أَوِ الشَّرْطَ) الَّذي يَتَحَكَّمُ بصحَّة إيراد (بـ+مَصْدَر) للتَّعْبير عَنْ هَيْئَة الْفعْل أَوِ الْحَدَث في اللُّغَة الْعَرَبيَّة، إنَّما هُوَ قانونٌ كَونيٌّ مَحْض. أَعْني أَنَّ الأَمْرَ اللُّغَويَّ هُنا لا يَخْرُجُ إطْلاقًا عَنِ الْقَوانين الْمُدْرَكَة في الْواقع الْكَوْنيِّ الْمَعيش. فَما أَتى منَ الأَحْداث مُعَبِّرًا عَنْ هَيْئَة أَحْداث أُخْرى في عالَم الْوَقائع الْمُمْكنَة، صَحَّ نَقْلُهُ إلى الْحَيِّز اللُّغَويّ.

الْقانونُ الثّاني لمَجيء الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر) في اللُّغَة الْعَرَبيَّة

أَوِ: السَّبَبُ الثّاني لرَفْض مُرَكَّب الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر)

تَوَضَّحَ، ممّا سَبَقَ، أَنْ لَيْسَ كُلُّ (بـ+مَصْدَر) قابلًا لأَنْ يَكونَ هَيْئَةً في الْعَرَبيَّة: (*شَرِبْتُ الْعَصيرَ

بوُقوف/*شاهَدتُّ الطُّيورَ بهجْرَة/×شَرِبْتُ الْحَليبَ ببُرودَة). وَلكنْ، هَلْ يُرَدُّ سَبَبُ رَفْضِ كُلِّ «هَيْئَة» مَرْفوضَة (بـ+مَصْدَر)، إلى عالَم الْوَقائع الْمُمْكنَة، وَهُوَ السَّبَبُ الْمُفْصَحُ عَنْهُ سابقًا؟ امْتَحِنِ الْمِثالَيْنِ الآتيَيْن:

– ذَهَبْتُ إلى السّوقِ راكبًا. –>

*ذَهَبْتُ إلى السّوقِ برُكوب.

– حَضَرْتُ إلى الْجامعَة ماشيًا. –>

*حَضَرْتُ إلى الْجامعَة بمَشْي.

أَقولُ: إنَّ الْعَرَبيَّةَ تَرْفُضُ مَجيءَ (برُكوب) مُرَكَّبًا للْهَيْئَة–كَما لا يَخْفى–، مَعَ أَنَّ الرُّكوبَ–في التَّرْكيب الْمَذْكور– طَريقَةٌ في الذَّهاب، بَلْ هُوَ طَريقَةُ الذَّهاب أَوْ هَيْئَتُهُ وَلا شَيْءَ آخَر! وَكَذلكَ تَرْفُضُ الْعَرَبيَّةُ إيرادَ (بمَشْي) بوَصْفه مُرَكَّبَ هَيْئَة، رغْمَ أَنَّ منَ الصَّحيح–في عالَم الْوَقائع– عَدَّ الْمَشْي هَيْئَةً منْ هَيْئات الْحُضور. فَلِمَ كانَ الْخَطَأُ، وَفيمَ كانَ الرَّفْضُ إذَن؟!

أَحْسَبُ أَنَّ ثَمَّةَ شَرْطًا آخَرَ، أَوْ قانونًا ثانيًا، يَنْضافُ إلى الشَّرْط السّابق، شَرْط الصِّحَّة في عالَم الْوَقائع الْمُمْكنَة، ليَجْعَلَ جَلْبَ (بـ+مَصْدَر) صَحيحًا بحُسْبانه مُرَكَّبًا للْهَيْئَة في الْجُمْلَة الْعَرَبيَّة. وَبُغْيَةَ التَّوَصُّل إلى هذا الشَّرْط تَجْدُرُ بي إعادَةُ ذكْر بَعْض التَّراكيب الْفائتَة الْمُصَوَّبَة وَغَيْر الْمُصَوَّبَة في مَجْموعَتَيْن: (1) وَ(2)، منْ أَجْل تَيْسير الْمُقارَنَة وُصولًا إلى الْمَنْشود، بحَيْثُ تَكونُ الْهَيْئَةُ (بـ+مَصْدَر) مُصَوَّبَةً في أولى الْمَجْموعَتَيْن، وَمَلْحونَةً في ثانيَتهما:

(1) **الْمَجْموعَةُ الأولى:**

شاهَدتُّ الطُّيورَ مُتَمَعِّنًا. –> شاهَدتُّ الطُّيورَ بتَمَعُّن.

سَمِعْتُهُ خاشعًا. –> سَمِعْتُهُ بخُشوع.

شَرِبْتُ الْحَليبَ مُسْتَعْجلًا. –> شَرِبْتُ الْحَليبَ باسْتعْجال.

تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ ساخرًا. –> تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ بسُخْريَة.

نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ غاضبَةً. –> نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ بغَضَب.

يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة واثقًا. –> يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة بثقَة.

مَشى زَيْدٌ بَطيئًا. –> مَشى زَيْدٌ ببُطْء.

قالَ رَأْيَهُ واضحًا. –> قالَ رَأْيَهُ بوُضوح.

الْمَلْحوظُ في هذه الْجُمَل جَميعها أَنَّ هُناكَ تَزامُنًا تامًّا بَيْنَ الْحَدَث الْفَعْليِّ وَالْحَدَث الْحالي أَوِ الْمَصْدَريّ (الْحَدَث الْمُعَبَّر عَنْهُ بالْحال أَوْ بالْمَصْدَر)، بحَيْثُ لا نَلْحَظُ أَنَّ حَدَثًا منَ الْحَدَثَيْن قَد ابْتَدَأَ قَبْلَ الآخَر. فَلا جَرَمَ أَنَّ الْمُشاهَدَةَ وَالتَّمَعُّنَ وَقَعا في وَقْت واحد في: (شاهَدتُّ الطُّيورَ بتَمَعُّن)، وَأَنَّ السَّماعَ وَالْخُشوعَ حَصَلا أَيْضًا في اللَّحْظَة نَفْسها: (سَمِعْتُهُ بخُشوع). وَكَذا يُقالُ في الشُّرْب وَالاسْتعْجال: (شَرِبْتُ الْحَليبَ باسْتعْجال)، فَلا الشُّرْبُ سابقٌ الاسْتعْجالَ، وَلا الاسْتعْجالُ سابقُ الشُّرْب، بَلْ هُما مُتَزامنان. وَكَذلكَ نَجدُ التَّواقُتَ كاملًا بَيْنَ التَّحَدُّث وَالسُّخْريَة في: (تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ بسُخْريَة)، وَالأَمْرُ مُنْطَبقٌ تَمامًا عَلى النَّظَر وَالْغَضَب في: (نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ بغَضَب)، وَهكَذا دَواليْك.

وَلكنَّ هذا الأَمْرَ عَيْنَهُ، أَي التَّزامُنَ التّامَّ بَيْنَ الْحَدَثَيْن الْفعْليِّ وَالْمَصْدَريّ، مَفْقودٌ في تَراكيب الْمَجْموعَة الثّانيَة الآتيَة:

(2) **الْمَجْموعَةُ الثّانيَة:**

حَضَرْتُ إلى الْجامِعَةِ ماشيًا. -> *حَضَرْتُ إلى الْجامِعَةِ بِمَشْي.

ذَهَبْتُ إلى السّوقِ راكِبًا. -> *ذَهَبْتُ إلى السّوقِ بِرُكوب.

شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقِفًا. -> *شَرِبْتُ الْعَصيرَ بِوُقوف.

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ جالِسًا. -> ×شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بِجُلوس.

لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ جَديدًا. -> *لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ بِجِدَّة.

شَرِبْتُ الْحَليبَ باردًا. -> *شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة.

فَالْمَشْيُ ابْتَدَأَ-قَطْعًا- قَبْلَ الْحُضورِ في: (حَضَرْتُ إلى الْجامِعَةِ ماشيًا.->*حَضَرْتُ إلى الْجامِعَةِ بِمَشْي)، وَما صَحَّ الْقَوْلُ بِوُقوعِ الْحُضورِ إلّا بَعْدَ تَمامِ الْمَشْيِ وَانْتِهائِه، بَلِ الْحُضورُ هُوَ آخِرُ نُقْطَةٍ أَوْ مَحَطَّةٍ في الْمَشْي. وَلا شَكَّ في أَنَّ الرُّكوبَ-كَذلِكَ- سَبَقَ الذَّهابَ في: (ذَهَبْتُ إلى السّوقِ راكِبًا.->*ذَهَبْتُ إلى السّوقِ بِرُكوب)، فَلَوْلا الرُّكوبُ ما كانَ ثَمَّ ذَهابٌ. وَالأَمْرُ مَنْسوجٌ عَلى الْمِنْوالِ نَفْسِه بِالضَّبْطِ في التَّراكيبِ الْمُتَبَقِّيَة. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقالَ هُنا: إنَّ الْحَدَثَ الْحالِيَّ (الْمُعَبَّرَ عَنْهُ بِالْحال) سابِقٌ الْحَدَثَ الْفِعْلِيَّ (الْمَفْهومَ مِنَ الْفِعْلِ السّابِقِ لِلْحال). وَمِنْ أَجْلِ هذا، لا يَصِحُّ في التَّرْكيب: (شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقِفًا.->*شَرِبْتُ الْعَصيرَ بِوُقوف) إلّا أَنْ نَتَصَوَّرَ أَنَّ الْوُقوفَ قَدْ وَقَعَ أَوَّلًا، ثُمَّ أَعْقَبَهُ الشُّرْب. وَكَذا في: (شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ جالِسًا.->*شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بِجُلوس)، فَقَدْ تَمَّ الْجُلوسُ ثُمَّ تَبِعَ الْجُلوسَ شَرْحٌ لِلدَّرْس. وَلا رَيْبَ في أَنَّ جِدَّةَ الثَّوْبِ، الَّذي لَبِسَتْهُ سَلْمى، كانَتْ مُتَحَقِّقَةً قَبْلَ لُبْسِ سَلْمى إيّاه: (لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ جَديدًا.->*لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ بِجِدَّة). وَكَذلِكَ وَقَعَتْ بُرودَةُ الْحَليبِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَلا ذلِكَ وُقوعُ الشُّرْب: (شَرِبْتُ الْحَليبَ باردًا.->×شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة).

وَبِذا يَكونُ شَرْطُ التَّزامُنِ التّامِّ بَيْنَ الْحَدَثَيْنِ ابْتِداءً وَانْتِهاءً في تَراكيبِ الْمَجْموعَةِ الثّانِيَةِ مُنْتَفِيًا. أَوْ يُمْكِنُ الْقَوْلُ: لَيْسَ هُناكَ تَزامُنٌ كامِلٌ، في تَراكيبِ الْمَجْموعَةِ الثّانِيَة، بَيْنَ الْحَدَثِ الْفِعْلِيِّ وَالْحَدَثِ الْحالِيِّ (الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالْحال)، أَيْ أَنَّ التَّزامُنَ بَيْنَ الْحَدَثَيْنِ ناقِصٌ. وَأَحْسَبُ أَنَّ هذا هُوَ السِّرُّ في رَفْضِ الْعَرَبِيَّةِ الإِتْيانَ بِـ(بِـ+مَصْدَر) في تَراكيبِ الْمَجْموعَةِ الثّانِيَةِ وَما ناظَرَها، وَهِيَ تَراكيبُ يُنْتِجُها-دونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَحَرُّجٍ- مُتَعَلِّمو الْعَرَبِيَّةِ مِنَ النّاطِقينَ بِغَيْرِها، بَيْنَما لا يُتَصَوَّرُ اجْتِراحُ النّاطِقينَ بِالْعَرَبِيَّةِ هذهِ الأَخْطاءَ وَما شاكَلَها. أَخْلُصُ إلى الْقَوْل: لا يُؤْتى بِمُرَكَّبِ الْهَيْئَةِ (بِـ+مَصْدَر) في الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ إلّا إذا كانَ التَّزامُنُ بَيْنَ الْحَدَثَيْنِ، حَدَثَيِ الْفِعْلِ وَالْحال، كامِلًا ابْتِداءً وَانْتِهاءً، عَلى النَّحْوِ الْمَشْهودِ في جُمَلِ الْمَجْموعَة (1).

إذَنْ، فَالْمَلْحوظُ مِنْ تَراكيبِ الْمَجْموعَة (2)، أَنَّ الْحَدَثَ الْمُعَبَّرَ عَنْهُ بِالْحالِ «الْمُفْرَدَة»: (ماشيًا، راكِبًا، واقِفًا، جالِسًا، جَديدًا، باردًا)، سابِقٌ الْحَدَثَ الْفِعْلِيَّ السّابِقَ لَه: فَالْمَشْيُ مُقَدَّمٌ عَلى الْحُضور، وَالرُّكوبُ سابِقٌ الذَّهابَ، وَالْوُقوفُ قَبْلَ الشُّرْب، وَالْجُلوسُ مُرْدَفٌ بِالشَّرْح، وَجِدَّةُ الثَّوْبِ كانَتْ قَبْلَ أَنْ يَكونَ اللُّبْسُ مِنْ سَلْمى، وَبُرودَةُ الْحَليبِ حَصَلَتْ أَوَّلًا ثُمَّ تَلاها الشُّرْب. بَيْنَما الأَمْرُ مُخْتَلِفٌ تَمامًا في جُمَلِ الْمَجْموعَة (1)، فَإِنَّ الْحَدَثَ الْحالِيَّ في كُلٍّ مِنْها لا يَتَحَقَّقُ قَبْلَ الْحَدَثِ الْفِعْلِيّ. فَيَسْتَحيلُ أَنْ يَصِحَّ وُقوعُ الْبُطْءِ قَبْلَ الْمَشْي في (مَشى زَيْدٌ بَطيئًا.->مَشى زَيْدٌ بِبُطْء)، وَكَذا بِالنِّسْبَةِ لِلتَّحَدُّثِ وَالسُّخْرِيَةِ في

(تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ ساخِرًا.-><تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ بِسُخْرِيَةٍ)، إِذِ الْمُصاحَبَةُ بَيْنَهُما تامَّةٌ غَيْرُ مَنْقوصَةٍ، وَهكَذا.

وَثَمَّةَ دَليلٌ قَدْ يُعْلي مِنْ شَأْنِ ما نَحْنُ بِصَدَدِ إِثْباتِه، إِذْ يَصِحُّ أَنْ تُساقَ أَداةُ الرَّبْطِ التَّوْفيقيِّ (ثُمَّ)–أَوِ الْفاء–[35] للدِّلالَةِ عَلى تَرابُطِ حَدَثَيِ الْفِعْلِ وَالْحالِ في تَراكيبِ الْمَجْموعَةِ (2) دونَ جُمَلِ الْمَجْموعَةِ (1). فَبِمُكْنَتِنا أَنْ نُرَتِّبَ الْحَدَثَيْنِ في التَّراكيبِ الْمَرْفوضَةِ في (2)، مُسْتَعينينَ بِالأَداةِ (ثُمَّ)، تَرْتيبًا مُفْضيًا إِلى تَراكيبَ صَحيحَةٍ، وَالْقَصْدُ أَنْ نَتَثَبَّتَ مِنْ وُجودِ الْفارِقِ الزَّمَنِيِّ الْمَزْعومِ بَيْنَ الْحَدَثَيْنِ:

* حَضَرْتُ إِلى الْجامِعَةِ بِمَشْي. -> مَشَيْتُ ثُمَّ حَضَرْتُ إِلى الْجامِعَةِ.
* ذَهَبْتُ إِلى السّوقِ بِرُكوب. -> رَكِبْتُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلى السّوق.
* شَرِبْتُ الْعَصيرَ بِوُقوف. -> وَقَفْتُ ثُمَّ شَرِبْتُ الْعَصير[36].
* شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بِجُلوس. -> جَلَسَ الْمُعَلِّمُ ثُمَّ شَرَحَ الدَّرْس.
* لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ بِجِدَّة. -> جَدَّ الثَّوْبُ ثُمَّ لَبِسَتْهُ سَلْمى.
* شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة. -> بَرَدَ الْحَليبُ ثُمَّ شَرِبْتُهُ.

وَعَلى الْعَكْسِ مِنْ ذلكَ تَمامًا، نَجِدُ أَنَّ اسْتِجْلابَ (ثُمَّ) إِلى التَّراكيبِ الْمُجَوَّزَةِ في (1)، مُؤَدٍّ إِلى تَراكيبَ مُحيلَةٍ بِالْمَعْنى الدَّقيقِ الْمُرادِ مِنَ الْجُمْلَةِ قَبْلَ إِدْخالِ (ثُمَّ). ذلكَ أَنَّ هُناكَ تَزامُنًا تامًّا بَيْنَ الْحَدَثَيْنِ وَلا يُجْدي نَفْعًا الْفَصْلُ بَيْنَهُما بِـ(ثُمَّ). تَأَمَّلْ:

- شاهَدتُّ الطُّيورَ بِتَمَعُّن. -> *تَمَعَّنْتُ في الطُّيورِ ثُمَّ شاهَدتُّها [37].
- سَمِعْتُهُ بِخُشوع. -> *خَشَعْتُ ثُمَّ سَمِعْتُهُ.
- شَرِبْتُ الْحَليبَ بِاسْتِعْجال. -> *اسْتَعْجَلْتُ ثُمَّ شَرِبْتُ الْحَليب.
- تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ بِسُخْرِيَةٍ. -> ×سَخِرَ بلالٌ ثُمَّ تَحَدَّث.
- نَظَرَتْ إِلَيْه مَرْيَمُ بِغَضَب. -> *غَضِبَتْ مَرْيَمُ ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَيْه.
- يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئِلَةِ بِثِقَة. -> *وَثِقَ أَمْجَدُ ثُمَّ أَجاب.

وَلَقَدْ أَمْكَنَ الرَّوْزُ وَتَجْلِيَةُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَجْموعَتَيْنِ بِطَريقَةٍ أُخْرى: فَفي (1)، يَصِحُّ أَنْ نَصِفَ الْحَدَثَ الْمَفْهومَ مِنَ الْفِعْلِ بِالْحال، وَكَذلكَ يَصِحُّ وَصْفُ الْمُسْنَدِ إِلَيْه (صاحِبِ الْحالِ) بِالْحال. بِمَعْنى أَنَّ الْحَدَثَ وَالْمُحْدِثَ في هذِهِ الْمَجْموعَةِ مُتَّصِفانِ بِالْحال. تَأَمَّلْ:

- شاهَدتُّ الطُّيورَ مُتَمَعِّنًا/شاهَدتُّ الطُّيورَ بِتَمَعُّن: ->

(الْمُشاهِدُ مُتَمَعِّنٌ، وَالْمُشاهَدَةُ مُتَمَعِّنَةٌ أَوْ فيها تَمَعُّن كَذلك).

- سَمِعْتُهُ خاشِعًا/سَمِعْتُهُ بِخُشوع: ->

(السّامِعُ خاشِعٌ، وَالسَّماعُ خاشِعٌ أَوْ فيهِ خُشوع كَذلك).

- شَرِبْتُ الْحَليبَ مُسْتَعْجِلًا/شَرِبْتُ الْحَليبَ بِاسْتِعْجال: ->

(الشّارِبُ مُسْتَعْجِلٌ، وَالشُّرْبُ مُسْتَعْجِلٌ أَوْ فيهِ اسْتِعْجال كَذلك).

- تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ ساخِرًا/تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوعِ بِسُخْرِيَةٍ: ->

(الْمُتَحَدِّثُ ساخِرٌ، وَالتَّحَدُّثُ ساخِرٌ أَوْ فيهِ سُخْرِيَة كَذلك).

- نَظَرَتْ إِلَيْهِ مَرْيَمُ غاضِبَةً/نَظَرَتْ إِلَيْهِ مَرْيَمُ بِغَضَب: ->

(النّاظِرُ غاضِبٌ، وَالنَّظَرُ غاضِبٌ أَوْ فيهِ غَضَب كَذلك).

- يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئِلَةِ واثِقًا/يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئِلَةِ بِثِقَة: ->

(الْمُجيبُ واثِقٌ، وَالإِجابَةُ واثِقَة أَوْ فيها ثِقَة كَذلك).

- مَشى زَيْدٌ بَطيئًا/مَشى زَيْدٌ بِبُطْء: ->

(الْماشي بَطيءٌ، وَالْمَشْيُ بَطيءٌ أَوْ فيهِ بُطْء كَذلك).

- قالَ رَأْيَهُ واضِحًا/قالَ رَأْيَهُ بِوُضوح: ->

(الْقائِلُ واضِحٌ، وَالْقَوْلُ واضِحٌ أَوْ فيهِ وُضوح كَذلك).

أَمّا في (2)، فَالأَمْرُ عَلى النَّحْوِ الْمَشْهودِ سابِقًا غَيْرُ مُتَيَسِّر. إِنَّما يَنْحَصِرُ الاتِّصافُ بِالْحالِ في الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ (صاحِبِ الْحال)، أَوْ في الْمَفْعولِ بِهِ (صاحِبِ الْحال)، دونَ الْحَدَث:

- حَضَرْتُ إِلى الْجامِعَةِ ماشِيًا/*حَضَرْتُ إِلى الْجامِعَةِ بِمَشْي: ->

(*الْحاضِرُ ماشٍ، وَالْحُضورُ ماشٍ أَوْ فيهِ مَشْي).

- ذَهَبْتُ إِلى السّوقِ راكِبًا/*ذَهَبْتُ إِلى السّوقِ بِرُكوب: ->

(*الذاهِبُ راكِب، وَالذَّهابُ راكِبٌ أَوْ فيهِ رُكوب).

- شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقِفًا/*شَرِبْتُ الْعَصيرَ بِوُقوف: ->

(*الشّارِبُ واقِف، وَالشُّرْبُ واقِفٌ أَوْ فيهِ وُقوف).

- شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ جالِسًا/*شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بِجُلوس: ->

(*الشّارِحُ جالِس، وَالشَّرْحُ جالِسٌ أَوْ فيهِ جُلوس).

- لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ جَديدًا/*لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ بِجِدَّة: ->

(*الْمَلْبوسُ جَديد، وَاللُّبْسُ جَديدٌ أَوْ فيهِ جِدَّة).

- شَرِبْتُ الْحَليبَ بارِدًا/*شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة: ->

(*الْمَشْروبُ بارِد، وَالشُّرْبُ بارِد أَوْ فيهِ بُرودَة).

النَّتيجَةُ الَّتي يُمْكِنُ اسْتِخْلاصُها، أَنَّهُ إِذا صَحَّ أَنْ يَتَّصِفَ الْحَدَثُ (الْمَلْموحُ مِنَ الْفِعْلِ) بِالْحال، جازَ صَوْغُ مُرَكَّبِ الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر): (بِبُطْء، بِسُخْرِيَة، بِغَضَب،...). وَإِذا لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَتَّسِمَ الْحَدَثُ الْفِعْلِيُّ بِالْحال، لَمْ تُجِزِ اللُّغَةُ الإِتْيانَ بـ(بـ+مَصْدَر): (بِرُكوب، بِمَشْي، بِوُقوف،...). أَوْ-بِكَلامٍ آخَر-: إِذا جازَ لِلْكَلِمَةِ الْواصِفَةِ (الْحال/الْهَيْئَة) أَنْ تَصِفَ الْحَدَثَ وَالذّاتَ (صاحِبَ الْحال) عَلى حَدٍّ سَواء، صَحَّ الإِتْيانُ بـ(بـ+مَصْدَر).

وَالْحَقُّ أَنَّ الْقَوْلَ بِوُجودِ هاتَيْنِ الْمَجْموعَتَيْنِ (1) وَ(2) لا يَقْتَصِرُ عَلى ما سَبَقَ مِنّا بَيانُه. فَعَلاوَةً عَلى ما أَوْرَدْنا مِنْ فَرْقٍ بَيْنَهُما، تَجَلّى لِلْمَرْءِ فَرْقٌ آخَرُ جَعَلَهُ يَتَبَنّى بِشِدَّةٍ الْقَوْلَ بِوُجودِ الْمَجْموعَتَيْنِ الْماضِيَتَيْنِ (1) وَ(2). فَفي كُلِّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمَلِ الْمَجْموعَةِ الأُولى (1)، يُمْكِنُ-في الْواقِعِ الْمَعيشِ- تَعَرُّفُ الْحالِ بِسُهولَةٍ مِنْ مُعايَنَتِنا أَوْ لَمْحِنا الْفِعْلَ نَفْسَه. أُريدُ الْقَوْلَ: إِنَّ لِجُمَلِ الْمَجْموعَةِ (1) رائِزًا تَمَثَّلَ لَنا في الآتي: «تُعْرَفُ الْحالُ مِنْ لَحْظِنا الْفِعْلَ». بِمَعْنى أَنَّكَ إِذا أَدْرَكْتَ الْحالَ، تَكونُ قَدْ أَدْرَكْتَ-بَداهَةً وَتِلْقائِيًّا- الْفِعْلَ الْمَذْكورَ قَبْلَ الْحال.

فَإِذا ما أَدْرَكَ الْمُتَلَقّي تَمَعُّنَ أَحَدِهِمْ وَتَحْديقَهُ في الطُّيورِ (مِنْ جُمَلِ الْمَجْموعَةِ الأُولى)، فَمَعْنى هذا،

بَداهَةً، أَنَّ هذا الْمُتَلَقِّيَ قَدْ تَوَصَّلَ إلى أَنَّ قائلَ الْجُمْلَة الآتيَة شاهَدَ الطُّيورَ: (شاهَدتُّ الطُّيورَ مُتَمَعِّنًا). هذا إنَّما يَعْني أَنَّنا نَتَعَرَّفُ–في واقع الْحَياة- عَلى التَّمَعُّن (أَي: الْحال) منْ إدْراكنا الْمُشاهَدَة (أَي: الْفعْل). وَيُمْكنُ أَنْ تُدْركَ خُشوعَ امْرئٍ منْ مَعْرفَتكَ أَنَّهُ سامعٌ مُنْصت: (سَمعْتُهُ خاشعًا). وَنَتَوَصَّلُ إلى الاسْتعْجال في الشُّرْب منْ خلال مُشاهَدَتنا الشُّرْبَ نَفْسَه، وَذلكَ في الْجُمْلَة: (شَرِبْتُ الْحَليبَ مُسْتَعْجلًا). كَما تُسْتَنْتَجُ سُخْريَةُ بلال في كَلامه منْ فعْل التَّحَدُّث: (تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوع ساخرًا)، وَيُفْهَمُ بسُهولَة غَضَبُ مَرْيَمَ منْ نَظَر مَرْيَمَ نَفْسها: (نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ غاضبَةً). وَتُدْرَكُ ثقَةُ أَمْجَدَ في إجابَته عَنِ الأَسْئلَة، منْ الإجابَة نَفْسها: (يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة واثقًا). وَكَذا بالنِّسْبَة للْجُمْلَة: (مَشى زَيْدٌ بَطيئًا)، فَإنَّنا-ببَساطَة- منْ مَشْي زَيْد نَعْرفُ بُطْأَه. كَما أَنَّ منْ غَيْر الْمَشْكوك فيه أَنَّ وُضوحَ الرَّأْي مُسْتَفادٌ منَ الْقَوْل: (قالَ رَأْيَهُ واضحًا).

بطَريقَة أُخْرى أَقولُ: إذا شَربَ أَحَدٌ ما الْحَليب، عَرَفْتَ اسْتعْجالَهُ في الشُّرْب منَ الشُّرْب نَفْسه: (شَرِبْتُ الْحَليبَ مُسْتَعْجلًا/شَرِبْتُ الْحَليبَ باسْتعْجال)، وَإذا تَحَدَّثَ بلالٌ عَرَفْتَ سُخْريَتَهُ منْ خلال تَحَدُّثه: (تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوع ساخرًا/ تَحَدَّثَ بلالٌ عَنِ الْمَوْضوع بسُخْريَة)، وَإذا نَظَرَتْ مَرْيَمُ عَرَفْتَ غَضَبَها منْ نَظَرها: (نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ غاضبَةً/نَظَرَتْ إلَيْه مَرْيَمُ بغَضَب)، وَإذا أَجابَ أَمْجَدُ عَرَفْتَ ثقَتَهُ منْ إجابَته: (يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة واثقًا/يُجيبُ أَمْجَدُ عَنِ الأَسْئلَة بثقَة)، وَإذا مَشى زَيْدٌ تَعَرَّفْتَ عَلى بُطْئه منْ خلال مَشْيه: (مَشى زَيْدٌ بَطيئًا/مَشى زَيْدٌ ببُطْء). وَلكنَّ هذا نَفْسَهُ غَيْرُ صَحيح أَبَدًا في حال الْمَجْموعَة (2). إذْ لا يَصحُّ في (حَضَرْتُ إلى الْجامعَة ماشيًا/*حَضَرْتُ إلى الْجامعَة بمَشْي) الْقَوْلُ: إذا حَضَرَ شَخْصٌ ما إلى الْجامعَة عَرَفْتَ مَشْيَهُ منْ حُضوره، وَكَذلكَ لا يَصحُّ في (شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقفًا/*شَرِبْتُ الْعَصيرَ بوُقوف) الْقَوْلُ: إذا شَربَ شَخْصٌ الْعَصيرَ عَرَفْتَ وُقوفَهُ منْ شُرْبه، وَلا يَجوزُ في (شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ جالسًا/*شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بجُلوس) الْقَوْلُ: إذا شَرَحَ الْمُعَلِّمُ عَرَفْتَ جُلوسَهُ منْ شَرْحه.

أَقول: إنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَعْرفَ منَ الْمَشْي الْحُضورَ، إذْ لَيْسَ ضَروريًّا أَنْ يَنْتَهيَ الْمَطافُ بكُلِّ ماش إلى الْحُضور، خاصَّةً إذا عَلمْنا أَنَّ الْحُضورَ–بطَبيعَة الأَمْر- هُوَ آخرُ نُقْطَة أَوْ آخرُ مَحَطَّة في الْمَشْي: (حَضَرْتُ إلى الْجامعَة ماشيًا). وَقَريبٌ منْ هذا يُقالُ في: (ذَهَبْتُ إلى السّوق راكبًا)، فَلا يُمْكنُ لمَنْ أَدْرَكَ الرُّكوبَ أَنْ يُدْركَ-بالضَّرورَة وَعَلى وَجْه الْحَتْم- ذَهابَ الرّاكب إلى السّوق. وَلا شَكَّ في أَنَّكَ لا تَسْتَنْبطُ شُرْبَ امْرئ الْعَصيرَ منْ وُقوفه: (شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقفًا)، وَلا يُمْكنُ التَّوَصُّلُ إلى الشَّرْح منَ الْجُلوس في: (شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ جالسًا). وَكَذا في: (لَبسْتُ سَلْمى الثَّوْبَ جَديدًا)، فَإنَّكَ إذا أَدْرَكْتَ جدَّةَ الثَّوْب، لا تَكونُ قَدْ أَدْرَكْتَ-بالضَّرورَة- لُبْسَ سَلْمى إيّاه، لأَنَّ جدَّةَ الثَّوْب تُعْرَفُ بمُجَرَّد مُشاهَدَة الثَّوْب لا لُبْس سَلْمى إيّاه. وَإدْراكُ بُرودَة الْحَليب لا يَكونُ بالضَّرورَة منْ طَريق الشُّرْب: (شَرِبْتُ الْحَليبَ باردًا)، فَقَدْ يُتَوَصَّلُ إلى الْبُرودَة بطَريق اللَّمْس.

أَوْ قَدْ يُقالُ في جُمَل الْمَجْموعَة (1): لا يَكونُ صاحبُ الْحال مُتَّصفًا بالْحال إلّا عَبْرَ بَوّابَة الْفعْل، فَلا يَكونُ الْمُتَمَعِّنُ في الْمُشاهَدَة مُتَمَعِّنًا إلّا بالْمُشاهَدَة–بطَبيعَة الْحال-، وَلا يَكونُ الْخاشعُ في سَماعه خاشعًا إلّا بالسَّماع–بطَبيعَة الأَمْر-، وَلا يَكونُ الْمُسْتَعْجلُ في

شُرْبه مُسْتَعْجلًا إلّا بالشُّرْب–حَسبَ طَبيعَة الأَشْياء–، وَلا نَحْكُمُ عَلى الْمُتَحَدِّث بأَنَّهُ يَسْخَرُ في حَديثه إلّا منْ خلال تَحَدُّثه،... وَرغْمَ بَداهَة هذا الأَمْر، فَإنَّنا لا نَراهُ مُتَحَقِّقًا بشَكْل منَ الأَشْكال في تَراكيب الْمَجْموعَة (2). فَلا يَجوزُ في (حَضَرْتُ إلى الْجامعَة ماشيًا) الْقَوْلُ: إنَّ الْماشيَ إلى الْجامعَة لا يَكونُ ماشيًا إلّا بحُضوره إلى الْجامعَة، فَكُلُّ مَنْ مَشى مُتَوَجِّهًا إلى الْجامعَة فَهُوَ ماش سَواء وَصَلَ إلَيْها أَوْ لَمْ يَصلْ. وَلا يَصحُّ أَنْ نَقولَ في (ذَهَبْتُ إلى السّوق راكبًا): إنَّ الرّاكبَ إلى السّوق لا يَكونُ راكبًا إلى السّوق إلّا إذا ذَهَبَ إلى السّوق أَوْ حَقَّقَ الذَّهابَ إلى السّوق، بَلْ إنَّ كُلَّ مَنْ رَكبَ وَقَصْدُهُ الذَّهابُ إلى السّوق، فَهُوَ راكبٌ بغَضِّ الطَّرْف أَتَحَقَّقَ ذَهابُهُ، أَوْ وُصولُهُ، إلى السّوق، أَمْ لَمْ يَتَحَقَّق. وَلا يَسْتَقيمُ أَنْ يُقالَ في (شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقفًا): إنَّ الْواقفَ لا يُمْكنُ أَنْ يَكونَ واقفًا إلّا إذا شَرِبَ الْعَصيرَ.

وَمنَ الْجَدير ذكْرُهُ أَنَّ الشَّرْطَيْن الْمُتَحَدَّث عَنْهُما خاليًا–أَقْصدُ شَرْطَ تَزامُن الْحَدَثَيْن وَشَرْطَ مَجيء أَحَد الْحَدَثَيْن هَيْئَةً للآخَر في الْواقع الْمَعيش الْمُحَسّ–، قَدْ يَجْتَمعانِ في التَّرْكيب الْواحد الْمَرْفوض، كَما في التَّراكيب الآتيَة الْمُعادَة:

*شَرِبْتُ الْعَصيرَ بوُقوف.

*شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بجُلوس.

*شَرِبْتُ الْحَليبَ ببُرودَة.

*لَبِسْتُ سَلْمى الثَّوْبَ بجدَّة.

فَإنَّ الْوُقوفَ مُتَحَقِّقٌ قَبْلَ الشُّرْب، عَلاوَةً عَلى أَنَّ الْوُقوفَ لَيْسَ مُسْتَلْزَمًا للشُّرْب. والْجُلوس واقعٌ قَبْلَ وُقوع الشَّرْح، وَبُرودَة الْحَليب حاصلَةٌ قَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ بشُرْب الْحَليب، وَمَحْكومٌ عَلى جدَّة الثَّوْب قَبْلَ لُبْس سَلْمى إيّاه.

وَمنَ الْجَدير باللَّحْظ كَثيرًا أَنَّ الْحالَ «الْمُفْرَدَة»–لا الْهَيْئَة– تَأْتي عَلى أَيٍّ منَ الْحالَيْن الْمَوْصوفَتَيْن ماضيًا: سَواء كانَ الاتِّفاقُ الزَّمَنيُّ تامًّا بَيْنَ الْحَدَثَيْن: (شاهَدتُّ الطُّيورَ مُتَمَعِّنًا/سَمعْتُهُ خاشعًا/شَرِبْتُ الْحَليبَ مُسْتَعْجلًا/ تَحَدَّثَ بلالٌ ساخرًا/نَظَرَتْ إلَيْه غاضبَةً/يُجيبُ واثقًا/مَشى بَطيئًا/قالَ رَأْيَهُ واضحًا)، أَوْ كانَ الاتِّفاقُ الزَّمَنيُّ مَنْقوصًا: (حَضَرْتُ ماشيًا/ذَهَبْتُ راكبًا/شَرِبْتُ واقفًا/ شَرَحَ الدَّرْسَ جالسًا/...). أَيْ أَنَّ الْحالَ «الْمُفْرَدَة» لا تَتَأَثَّرُ إطْلاقًا بشَرْط التَّزامُن الْكامل، وَلا يُنْظَرُ إلى هذا الشَّرْط حالَ إنْشائنا جُمَلًا تَشْتَملُ عَلى أَحْوال «مُفْرَدَة». غَيْرَ أَنَّ هذه الْحالَ تُفارقُ الْحالَ الَّتي نَجِدُ عَلَيْها مُرَكَّبَ الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر). إذْ تَشْتَرطُ اللُّغَةُ–في ما تَبَدّى وَتَوَضَّح– التَّزامُنَ بَيْنَ حَدَث الْهَيْئَة وَحَدَث الْفعْل لَيْسَ غَيْر، فَلا تَقْبَلُ في هذا الإطار السَّبْقَ الزَّمَنيّ.

خاتمَةٌ وَنَتائج

حاوَلَ البَحْثُ أَنْ يَلْفتَ أَنْظارَ الْباحثينَ الْمُشْتَغلينَ باللِّسانيّات التَّرْكيبيَّة الْعَرَبيَّة إلى التَّراكيب الْمُفْصحَة عَنِ الْهَيْئَة وَالْحال في اللُّغَة الْعَرَبيَّة. وَقَدْ تَأَدّى النَّظَرُ في هذه الْمُحاوَلَة إلى عدَّة نَتائجَ قَدْ يَجِدُ الْقارئُ في بَعْضها ما يُضيفُ جَديدا:

1 - أَنَّ الْحالَ تَرْتَبطُ بصاحبها لا بالْفعْل، وَأَنَّ هُناكَ سَبَبَيْن يَجْعَلانِ الْمَرْءَ يَشْعُرُ بوُجود عَلاقَة ما بَيْنَ الْحال وَالْفعْل.

2 - أَنَّ «الْحالَ» غَيْرُ «الْهَيْئَة»، عَلى اعْتبار أَنَّ الْحالَ هيَ الْكَلمَةُ الْمَنْصوبَةُ الَّتي تَتَسَلَّطُ عَلى الأَسْماء فَتُبَيِّنُ هَيْئَتَها، فيما تُبَيِّنُ «الْهَيْئَةُ» هَيْئَةَ الْفعْل أَوِ الْحَدَث.

3 - أَنَّ «الْحالَ» مُنْحَصرَةٌ في ما نَفْهَمُ تَقْليديًّا منْ هذا

الْمُصْطَلَح كَما يَمْثُلُ في كُتُب النَّحْو، أَمّا «الْهَيْئَةُ» فهِيَ تَشْمَلُ: مُرَكَّبَ الْمَفْعول الْمُطْلَق الْمَوْصوف، وَالصِّفَة الَّتي تَنوبُ مَنابَ الْمَفْعول الْمُطْلَق، وَالْمُرَكَّبَ الْجَرِّيَّ (بـ+مَصْدَر)، وَالْمُرَكَّب (بشَكْل+صفَة) أَوْ (بطَريقَة+صفَة) أَوْ (عَلى نَحْو+صفَة).

4 - أَنَّهُ، منَ الْوجْهَة الدِّلاليَّة، لا فَرْقَ إطْلاقًا بَيْنَ تَرْكيبَي الْحال وَالْهَيْئَة-عَلى التَّوالي-: (تَكَلَّمَ مَعي غاضبًا)، وَ(تَكَلَّمَ مَعي بغَضَب).

5 - أَنَّ ثَمَّةَ قانونَيْن يَتَحَكَّمان بصحَّة مَجيء مُرَكَّب الْهَيْئَة (بـ+مَصْدَر) في التَّراكيب الْعَرَبيَّة.

6 - أَنَّ الْقانونَ الأَوَّلَ الْمُتَحَكِّمَ بصحَّة إيراد (بـ+مَصْدَر) في التَّراكيب الْعَرَبيَّة إنَّما هُوَ قانونٌ كَوْنيٌّ مَحْض، وَفي ضَوْئه نَسْتَطيعُ بسُهولَة الْحُكْمَ عَلى خَطَأ التَّراكيب: (×شَرِبْتُ الْحَليبَ ببُرودَة)، (شَرِبْتُ الْعَصيرَ بوُقوف)، (شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بجُلوس).

7 - أَنَّ السَّبَبَ الَّذي جَعَلَ التَّحْويلَ مُمْكنًا في: (تَحَدَّثَ ساخرًا-<تَحَدَّثَ بسُخْريَة)، وَالَّذي جَعَلَ التَّحْويلَ مَحْظورًا في: (شَرِبْتُ الْعَصيرَ واقفًا-<شَرِبْتُ الْعَصيرَ بوُقوف)، يَعودُ إلى قانونٍ ثانٍ غَيْرِ الْقانونِ الْكَوْنيّ.

الْحَواشي (الْهَوامش)

1 - اُنْظُرْ في الْفَرْقِ بَيْنَ النَّحْوِ الْعَمَلِيِّ وَالنَّحْوِ الْعِلْمِيِّ وَفِكْرَةِ النَّحْوِ الْغائِب: عكاشة، عُمَر يوسُف: النَّحو الغائب: دعوةٌ إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربيَّة في مقتضى تعليمها لغير النّاطقين بها، بَيْروت: الْمُؤَسَّسَة العربيَّة للدِّراسات وَالنَّشْر، ط:1، 2003، ص115-102.

2 - تُشيرُ النَّجْمَةُ الْمَوْضوعَةُ مِنَ التَّراكيبِ صَدْرًا في هذا الْبَحْث إلى أَنَّ التَّرْكيبَ ممّا تَرْفُضُهُ الْعَرَبِيَّة. وَأُنَبِّهُ إلى أَنَّ أَكْثَرَ التَّراكيب الْمَلْحونَة الْواردَة في هذا الْبَحْث هيَ ممّا يَجْتَرِحُهُ مُتَعَلِّمو الْعَرَبِيَّة مِنَ النّاطقينَ بِغَيْرِها، سَواء كانَ ذلكَ في أَدائِهِمُ الشَّفَويِّ أَوِ الْكِتابِيّ.

3 - وَهِيَ في الأَمْثِلَة، كَما لا يَخْفى، حالٌ «مُفْرَدَة». وَالْكَلامُ عَلى «الْحال» في الْبَحْث، مُنْطَبِقٌ-بِطَبيعَة الْحال- عَلى الْحالِ الْمُؤَسِّسَة دونَ الْمُؤَكِّدَة. (اُنْظُرْ في الْفَرْقِ بَيْنَ الْحالِ الْمُؤَسِّسَة وَالْحالِ الْمُؤَكِّدَة: السّامَرّائِيّ، فاضل صالح، مَعاني النَّحْو، عَمّان: دار الفكر، ط:2، 1423 – 2002، 2/266).

4 - رغْمَ ذلكَ أَوْرَدَ (مُحَمَّد عَبْد الْخالق عُضَيْمَة) ثَلاثَ عَشْرَةَ آيَةً رَأى الْحالَ فيها آتِيَةً مِنَ الْمُضاف إِلَيْه (اُنْظُرْ: عُضَيْمَة، مُحَمَّد عَبْد الْخالق، دراساتٌ لأُسْلوب الْقُرْآن، الْقاهِرَة: دارُ الْحَديث، د.ط، د.ت، الْقِسْم الثّالث/الْجُزْء الثّالث، ص94). وَكَذلكَ جَمَعَتْ «فاطِمَة الرّاجِحِيّ» عَشْرَةَ شَواهِدَ مِنَ الشِّعْرِ الْقَديم قالَتْ إِنَّها عَلى مَجيءِ الْحالِ مِنَ الْمُضاف إِلَيْه (اُنْظُر: الرّاجِحِيّ، فاطِمَة، «مَجيءُ الْحالِ مِنَ الْمُضاف إِلَيْه»، الْمَجَلَّة العربيَّة لِلْعُلوم الإِنْسانيَّة، مَجْلس النَّشْر الْعِلْمِيّ-جامِعَة الْكُوَيْت: التِّسْعون، 2005م، ص100-75). وَقالَ (عَبّاس حَسَن): «لا قيمَةَ لِلاعْتِراض عَلى مَجيءِ الْحالِ مِنَ الْمُبْتَدَأ، أَوْ مِن اسْم النّاسِخ، أَوْ ممّا لَيْسَ فاعِلًا، أَوْ مَفْعولًا بِه، أَوْ نَحْوِهما، ذلكَ لأَنَّ مَنْ يَرْفُضونَهُ لا يَرْفُضونَهُ لِلسَّبَبِ الْقَويم الصَّحيح، وَهُوَ: عَدَمُ الاسْتِعْمالِ الْعَرَبِيِّ الأَصيل، وَإِنَّما يَرْفُضونَهُ لأَنَّهُ لا يَتَّفِقُ مَعَ مَظْهَرٍ مِنْ مَظاهِرِ السُّلْطانِ الَّذي وَهَبوهُ لِلْعامِل...» (حَسَن، عَبّاس، النَّحْو الْوافي مَعَ رَبْطِه بِالأَساليبِ الرَّفيعَةِ وَالْحَياةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُتَجَدِّدَة، الْقاهِرَة: دار الْمَعارِف بِمِصْر، ط:4، د.ت، 2/364 (الْحاشِيَة 2)).

5 - اِبْنُ السَّرّاج، أَبو بَكْر مُحَمَّد بْن سَهْل، الأُصولُ في النَّحْو، تَحْقيق: عَبْد الْحسين الفتلي، بَيْروت: مُؤَسَّسَة الرِّسالَة، ط:4، 1420هـ1999-م، 1/213.

6 - اِبْنُ يَعيش، مُوَفّق الدّين النَّحْوِيّ، شَرْحُ الْمُفَصَّل، بَيْروت: عالَم الْكُتُب، د.ط، د.ت، 2/55.

7 - لا بَأْسَ في عَدِّ «عامر» صاحِبًا لِلْحال.

8 - اُنْظُرْ في نَوْعَي الإِسْناد: عُكاشَة، عُمَر يوسف، النَّحو الغائب: دعوةٌ إلى توصيفٍ جديدٍ لنحو اللُّغَة العربيَّة في مقتضى تعليمها لغير النّاطقين بها، ص146-145.

9 - الأَسْتراباذِيّ، رَضِيّ الدّين مُحَمَّد بن الْحَسَن، شَرْحُ الْكافِيَة في النَّحْو لابْنِ الْحاجِب، بَيْروت: دار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة، د.ط، 1405هـ1985-م، 1/201.

10 - حميدة، مُصْطَفى، نِظامُ الارْتِباط وَالرَّبْط في تَرْكيبِ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّة، بَيْروت/مصر: مَكْتَبَة لُبْنان ناشِرون- الشَّرِكَة الْمِصْرِيَّة الْعالَمِيَّة لِلنَّشْر-لونجمان، ط:1، 1997، ص172.

11 - السّابِقُ نَفْسُه.

12 - يَعْني الْحال.

13 - عبد اللَّطيف، محمَّد حَماسَة: بِناءُ الْجُمْلَة الْعَرَبِيَّة، الْقاهِرَة – بَيْروت: دارُ الشُّروق، ط:1، 1416ه1996-م، ص126.

14 - Hend Saleh Bayer Alfoqaha: A Contrastive Study of English –ly Adverbs and Arabic Circumstantial Constructions, 32.

15 - سيبَوَيْه، أَبو بِشْرٍ عَمْرُو بْنُ عُثْمان بْن قنبر، الْكِتاب، تَحْقيق وَشَرْح: عَبْد السَّلام مُحَمَّد هارون، بَيْروت: دارُ الْجيل، ط:1، 1411هـ1991-م، 2/ 87-86.

16 - ابْن جِنِّيّ، أَبو الْفَتْح عُثْمان، الْخَصائص، تَحْقيق: محمَّد عَلي النَّجّار، بَغْداد: دار الشُّؤون الثَّقافِيَّة الْعامَّة، ط:4، د.ت، 2/386 (فَصْلٌ في التَّقْديم وَالتَّأْخير).

17 - لإِثْبات هذا الادِّعاء-وَهُوَ عِنْدي ثابت-، انْظُر: عَبْده، داود: أَبْحاثٌ في الْكَلِمَة وَالْجُمْلَة، عَمّان/الأُرْدُن: دار الكرمل لِلنَّشْر وَالتَّوْزيع، ط:1، 2008، ص127-103.

18 - ابْنُ السَّرّاج، الأُصولُ في النَّحْو، 1/213.

19 - أَعْني بِالْمُرَكَّب الْجَرِّيّ الْمُرَكَّبَ الْمُتَكَوِّنَ مِنْ تَلازُم الْجارِّ مَعَ الْمَجْرور، وَهُوَ هُنا: (بـ+مَصْدَر).

20 - تَجْدُرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّ الشَّأْنَ في هذا الْمُرَكَّب الْجَرِّيِّ لَيْسَ حَكْرًا عَلى الْباء-بِطَبيعَة الْحال-، وَلكنَّ الْباءَ-في الْحَقيقَة- عَلَمٌ عَلى غَيْرِها مِنَ الأَدَوات الَّتي قَدْ تَضطَلِعُ بِدَوْرِ الْمُفْصِح عَنِ الْهَيْئَة أَوِ الْحال. وَالْباءُ، في ما انْتَهى إِلَيْه الْحَدْسُ، أَشْهَرُ الأَدَوات عَلى الْمَعْنى الْمُراد وَأَكْثَرُها دَوَرانا. وَلا عَجَبَ أَنْ أَطْلَقَ كَثيرٌ مِنَ النَّحْويّينَ عَلى «باء الْمُصاحَبَة» مُصْطَلَحَ «باء الْحال»، لِصَلاحِيَة وُقوع الْحال-كَما قالوا- مَوْقِعَها. قالَ (الْمُراديّ): هيَ الَّتي «يُغْني عَنْها وَعَنْ مَصْحوبِها الْحالُ، كَقَوْله-تَعالى-: (قَدْ جاءَكُمُ الرَّسولُ بِالْحَقِّ) (النِّساء4: 170) أَيْ: مَعَ الْحَقِّ أَوْ مُحِقًّا، وَ(يا نوحُ اهْبِطْ بِسَلام) (هود11: 48) أَيْ: مَعَ سَلام، أَوْ مُسَلَّمًا عَلَيْك. وَلِصَلاحِيَة وُقوع الْحال مَوْقِعَها، سَمّاها كَثيرٌ مِنَ النَّحْويّينَ باءَ الْحال» (الْمُراديّ، الْحَسَن بْنُ قاسم، الْجَنى الدّاني في حُروف الْمَعاني، تَحْقيق: فَخْر الدّين قَباوَة وَمُحَمَّد نَديم فاضل، بَيْروت: دار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة، ط:1، 1413هـ 1992-م، ص40). وَهذا لَيْسَ بِمانِعنا مِنَ الْقَوْل: إِنَّهُ قَدْ تَأْتي أَدَواتٌ أُخْرى، مِثْلَ (عَلى)، لِتَنْهَضَ بِالدَّوْرِ الدِّلالِيِّ الَّذي تَنْهَضُ بِه الْباء، وَذلكَ في مِثْل الْقَوْل: (غادَرَ الْقاعَةَ عَلى عَجَل/عَلى مَهل).

21 - أَعْني بِـ(الْفِعْلِ الْمُرَكَّبِ الْحَرْفِيِّ)، أَوِ (الْمُرَكَّبِ الْفِعْلِيِّ الْحَرْفِيِّ)، ذلكَ الْفِعْلَ الَّذي يَتَطَلَّبُ ذِكْرُهُ ذِكْرَ حَرْف مَخْصوص يُلازِمُهُ، مِثْلَ: (اسْتَمْتَعَ بِـ، أَنِسَ بِـ، أَحَسَّ بِـ، حَظِيَ بِـ، اطَّلَعَ عَلى، أَثَّرَ عَلى، حَصَلَ عَلى، حافَظَ عَلى، حَنا عَلى، تَعَرَّضَ لِـ، تَحَمَّسَ لِـ، تَأَلَّفَ مِنْ، تَحَقَّقَ مِنْ، تَخَفَّفَ مِنْ، تَخَلَّصَ مِنْ، بَحَثَ عَنْ، حادَ عَنْ، تَحَدَّثَ عَنْ، تَخَلَّفَ عَنْ،...). انْظُرْ: عُكاشَة، عُمَر يوسُف، النَّحو الغائب: دعوةٌ إِلى توصيفٍ جديدٍ لنحوِ اللُّغة العربيَّة في مقتضى تعليمها لغيرِ النّاطقين بها، ص295-270.

22 - لا أَمَلُّ تَكْرارَ الْقَوْل: «الْفِعْل أَوْ الْحَدَث»، ذلكَ أَنَّ ما يُفْصِحُ عَنْ هَيْئَتِه قَدْ يَكونُ أَحْيانًا مَصْدَرًا لا فِعْلًا: (عَلِمْتُ ضَرْبَكَ إِيّاهُ بِشدَّة)، فَالْهَيْئَةُ هُنا (بِشدَّة) تُبَيِّنُ الْحَدَثَ الْمَفْهومَ مِنَ الْمَصْدَر.

23 - أَوْ: تَكَلُّمُ حُسام كانَ فيه اسْتِغْراب. وَيُمْكِنُ أَنْ نَسوقَ لِلْغَرَض نَفْسِه التَّقْديرَ: (تَكَلُّمُ حُسامٍ يَنْطَوي عَلى اسْتِغْراب).

24 - ابْنُ السَّرّاج، الأُصولُ في النَّحْو، 1/213.

25 - مِنَ الضَّروريِّ أَنْ لا نَحْفلَ كَثيرًا بِهذا الرّائِز (كَيْفَ)، لأَنَّهُ يَنْطَبِقُ بِكُلِّ سُهولَة عَلى وَظائِفَ نَحْويَّة لَيْسَتْ لَها عَلاقَةٌ بِالْحال.

أُدْرُس: (كَيْفَ أَصْبَحَ حاتم؟-<أَصْبَحَ حاتم مَريضًا)، (كَيْفَ وَجَدتَّ حاتمًا؟-< وَجَدتُّ حاتمًا مَريضًا). أُنْظُرْ في اخْتلاط الْحال، في بَعْض صُوَرِها، بِبَعْض الْوَظائف النَّحْوِيَّة الأُخْرى: عَبْدُ اللَّطيف، محمَّد حَماسَة، بِناءُ الْجُمْلَة الْعَرَبِيَّة، ص128.

26 - الأَنْطاكِيّ، مُحَمَّد: الْمُحيطُ في أَصْوات الْعَرَبِيَّة وَنَحْوِها وَصَرْفِها، بَيْروت: دارُ الشَّرْق الْعَرَبِيّ، ط:3، د.ت، 2/157.

27 - كُنْتُ ذَهَبْتُ، في بَحْث آخَرَ، إلى أَنَّ الْمَفْعولَ الْمُطْلَقَ الْمَوْصوف، أَو الْمَفْعولَ الْمُطْلَقَ الْمُضاف، لَيْسَ لَهُ أَيُّ حَظٍّ مِنَ التَّبْيين. بِدَليل أَنَّ تَوَقُّفَكَ عِنْدَ كَلِمَة (سَيْرًا) وَكَلِمَة (سَيْرَ)-مَثَلَيْن- مِنَ الْقَوْلَيْن: (سِرْتُ سَيْرًا حَسَنًا) وَ(سِرْتُ سَيْرَ الْعُقَلاء)، لَنْ يُفْضيَ إلى إفْصاح عَنْ نَوْع أَوْ هَيْئَة. تَأَمَّلْ: (سِرْتُ سَيْرًا...) (سِرْتُ سَيْرَ...). وَبِسَبَب مِنْ هذا كُنْتُ قَدْ أَوْضَحْتُ أَنَّ الْمَفْعولَ الْمُطْلَقَ نَفْسَهُ هُوَ-في الْحَقيقَة- الْمُفْتَقِرُ إلى ما يُبَيِّنُ نَوْعَه، وَمِنْ هُنا جاءَت الصِّفَةُ (حَسَنًا) لِتَنْهَضَ بِهذا الدَّوْر فَتُبينُ عَنْ حُسْن السَّيْر في (سِرْتُ سَيْرًا حَسَنًا)، وَفَعَلَ الْمُضافُ إلَيْه الشَّيْءَ عَيْنَهُ في: (سِرْتُ سَيْرَ الْعُقَلاء). وَأَجَلْ هذا دَعَوْتُ إلى تَسْمِيَة هذا النَّوْع مِنَ الْمَفْعول الْمُطْلَق بِـ«الْمُبَيِّن النَّوْع» لا «الْمُبَيِّن لِلنَّوْع». فَكانَ الْمَفْعولُ الْمُطْلَقُ الْمُخْتَصُّ النَّوْعِيُّ-عِنْدي- عَلى نَوْعَيْن: «مُبَيِّن النَّوْع»، وَهُوَ الْمَفْعولُ الْمُطْلَقُ الَّذي تُفْصِحُ عَنْ نَوْعه أَوْ هَيْئَته عَناصِرُ لُغَوِيَّةٌ أُخْرى مَذْكورَةٌ بَعْدَهُ مِنْ صِفَة أَوْ مُضاف إلَيْه كَـ(سِرْتُ سَيْرًا حَسَنًا)، وَ(سِرْتُ سَيْرَ الْعُقَلاء)، وَ«مُبَيِّن النَّوْع»، وَهُوَ الْمُفْصِحُ عَنْ فِكْرَة النَّوْع بِذات بِنْيَته الْمُعْجَمِيَّة أَو الصَّرْفِيَّة، كَما في: (رَجَعْتُ الْقَهْقَرى) وَ(جَلَسْتُ الْقُرْفُصاءَ)، وَكَما في: (جَلَسْتُ جِلْسَةً) وَ(رَكِبْتُ رِكْبَةً).

28 - مِمّا يُمْكِنُ أَنْ يُضافَ إلى الْهَيْئَة في الْعَرَبِيَّة التَّرْكيبُ الْمُشْتَمِلُ عَلى الاسْم الْمُسَمّى بِاسْم الْهَيْئَة أَوْ مَصْدَر الْهَيْئَة في مِثْل: (جَلَسْتُ جِلْسَةً) وَ(رَكِبْتُ رِكْبَةً)، غَيْرَ أَنَّهُ-مِنْ ناحِيَة أولى- لَيْسَ بِمُرَكَّب، وَهُوَ-مِنْ ناحِيَة ثانِيَة- يَفْتَقِرُ لَدَيَّ إلى مَزيد مِنَ التَّجْلِيَة وَالدَّرْس.

29 - مِنَ الْجَدير لَحْظُهُ أَنَّ التَّماهيَ بَيْنَ (بـ+مَصْدَر) وَمُرَكَّب (الْمَفْعول الْمُطْلَق الْمُبَيِّن نَوْعَه) مَرْفوعٌ أَحْيانًا، فَمَثَلًا نَقولُ: (انْطَلَقَت السَّيّارَةُ انْطِلاقَ الصّاروخ)، وَنَقولُ: (انْطَلَقَت السَّيّارَةُ انْطِلاقًا صاروخِيًّا)، غَيْرَ أَنَّنا لا نَقولُ: (×انْطَلَقَت السَّيّارَةُ بِصاروخِيَّة).

30 - هكَذا في الأَصْل، وَلَعَلَّ الصَّواب: (اعْتَنَيْتَ).

31 - مَغالسة، مَحْمود حُسْني، النَّحْوُ الشّافي الشّامِل، عَمّان/الأُرْدُنّ: دارُ الْمَسيرَة لِلنَّشْر وَالتَّوْزيع وَالطِّباعَة، ط:1، 2007 م – 1427 ه، ص401.

32 - الْخولي، محمَّد علي، مُعْجَمُ عِلْم اللُّغَة النَّظَريّ، بَيْروت: مَكْتَبَةُ لُبْنان، ط:1، 1982، مادَّة (Adverb)، ص6.

33 - قَدْ تَصِحُّ هذه الْجُمْلَةُ: (سَمِعْتُ الْمَريضَ بِتَأَوُّه)، حَسْبُ إذا كانَ الْمُتَكَلِّمُ هُوَ الْمُتَأَوِّه، وَيَكونُ التَّقْديرُ حينَذاك: (سَمِعْتُ الْمَريضَ وَأَنا مُتَأَوِّه). وَعِنْدَئِذٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ التَّرْكيبُ: (سَمِعْتُ الْمَريضَ بِتَأَوُّه) مُساوِيًا التَّرْكيبَ: (سَمِعْتُ الْمَريضَ مُتَأَوِّهًا) فَقَطْ إذا عَدَدْنا صاحِبَ الْحال تاءَ الْمُفْرَد الْمُتَكَلِّم في (سَمِعْتُ).

34 - قارِن التَّرْكيبَ الْمَرْفوضَ: (×شَرِبْتُ الْحَليبَ بِبُرودَة) بِالْقَوْل الْمُصَوَّب: (قَتَلَ الْمُجْرِمُ الرَّجُلَ بِبُرود). فَإذا كانَ الأَوَّلُ مَرْفوضًا لِكَوْن الشُّرْب لا يَقَعُ مِنَ الإنْسان-كَما قُلْتُ- وَهُوَ في حال بُرود أَوْ بُرودَة، فَإنَّ مِنَ الْمَشْهود-لُغَوِيًّا وَواقِعِيًّا- أَنْ يُقْدِمُ مُجْرِمٌ عَلى فِعْل الْقَتْل بِبُرود (أَيْ بُرود أَعْصابه أَوْ بُرود دَمه)، أَيْ يَقْتُلُ الْمُجْرِمُ وَهُوَ بارِدَةٌ أَعْصابُهُ (أَوْ بارِدٌ دَمُهُ) دونَ رَحْمَة أَوْ شَفَقَة أَوْ تَرَدُّد أَوْ مُراعاة لإنْسانِيَّة هذا الَّذي يُريدُ قَتْلَه، فَكَأَنَّ الْقَوْلَ: (قَتَلَ الْمُجْرِمُ الرَّجُلَ بِبُرود).

35 - أُنْظُرْ في الْفَرْق بَيْنَ نَوْعَي الرَّبْط التَّوْفيقِيِّ وَالإدْماجِيِّ: عكاشة، عُمَر يوسُف، النَّحو الغائب: دعوةٌ إلى توصيفٍ جديدٍ لنحوِ اللغة العربيَّة في مقتضى تعليمها لغير النّاطقين بها، ص307-296.

36 - وَإذا قيلَ: وَلِمَ قُلْتَ في تَقْديرِكَ: (وَقَفْتُ ثُمَّ شَرِبْتُ الْعَصير)، وَلَمْ تَقُلْ مَعْكوسَ ذلك: (شَرِبْتُ الْعَصيرَ ثُمَّ وَقَفْتُ)؟ قُلْتُ: لأَنَّ

هذا التَّقديرَ الأَخيرَ الَّذي لَمْ أَقُلْ به، لَنْ يُفْضيَ إلى أَيِّ قَدْرٍ منَ التَّواقُتِ بَيْنَ الْحَدَثَيْنِ: الشُّرْبِ وَالْوُقوف. بَلْ إنَّ الْمَعْنى سَيَغْدو– حينَ الْعَكْس– مُفارِقًا كُلَّ مَعْقولٍ إنْ نَحْنُ قَدَّرْنا لِلْجُمْلَتَيْنِ الْمَرْفوضَتَيْنِ: (×شَرِبْتُ الحَليبَ بِبُرودَة/×لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ بِجِدَّة) التَّقْديرَيْنِ الْمُحالَيْن: (×شَرِبْتُ الْحَليبَ ثُمَّ بَرد/×لَبِسَتْ سَلْمى الثَّوْبَ ثُمَّ جَدّ)! فَتَأَمَّلْه.

37 - أَوْ: ×تَمَعَّنْتُ ثُمَّ شاهَدتُّ الطُّيور.

الْمَصادر وَالْمَراجِع:

1 - الأَسْتراباذيّ، رَضِيّ الدّين مُحَمَّد بن الْحَسَن (686ه)، شَرْحُ الْكافِيَة في النَّحْو لابْنِ الْحاجِب، بَيْروت: دارُ الْكُتُب الْعِلْمِيَّة، د.ط، 1405ه1985-م.

2 - الأَنْطاكيّ، محمَّد، الْمُحيطُ في أَصْوات العربيَّة وَنَحْوِها وَصَرْفِها، بَيْروت: دارُ الشَّرْق الْعَرَبيّ، ط:3، د. ت.

3 - ابْنُ جِنّيّ، أَبو الْفَتْح عُثْمان (392ه)، الْخَصائِص، تَحْقيق: محمَّد عَلي النَّجّار، بَغْداد: دار الشُّؤون الثَّقافِيَّة الْعامَّة، ط:4، د.ت.

4 - حَسَن، عَبّاس، النَّحْو الْوافي مَعَ رَبْطِه بِالأَساليب الرَّفيعَة وَالْحَياة اللُّغَويَّة الْمُتَجَدِّدَة، الْقاهِرَة: دار الْمَعارِف بِمِصْر، ط:4، د.ت.

5 - حميدة، مُصْطَفى، نِظامُ الارْتِباط وَالرَّبْط في تَرْكيب الْجُمْلَة الْعَرَبيَّة، بَيْروت: مَكْتَبَة لُبْنان ناشِرون– مِصْر: الشَّرِكَة الْمِصْرِيَّة الْعالَمِيَّة لِلنَّشْر–لونجمان، ط:1، 1997.

6 - الْخولي، محمَّد علي، مُعْجَمُ عِلْم اللُّغَة النَّظَريّ، بَيْروت: مَكْتَبَةُ لُبْنان، ط:1، 1982.

7 - الرّاجِحيّ، فاطِمَة، مَجيءُ الْحال مِنَ الْمُضاف إلَيْه، الْمَجَلَّة الْعَرَبِيَّة لِلْعُلوم الإنْسانِيَّة، مَجْلِس النَّشْر الْعِلْميّ–جامِعَة الْكُوَيْت، 2005م، السَّنَة (23)، الْعَدَد (90)، ص100–75.

8 - السّامَرّائيّ، فاضل صالح، مَعاني النَّحْو، عَمّان: دار الفكر، ط:2، 1423 – 2002.

9 - ابْنُ السَّرّاج، أَبو بَكْر مُحَمَّد بْن سَهْل (316ه)، الأُصولُ في النَّحْو، تَحْقيق: عَبْد الْحسين الفتلي، بَيْروت: مُؤَسَّسَة الرِّسالَة، ط:4، 1420ه – 1999م.

10 - سيبَوَيْه، أَبو بِشْرٍ عَمْرُو بْنُ عُثْمان بْن قنبر (180ه)، الْكِتاب، تَحْقيق وَشَرْح: عَبْد السَّلام مُحَمَّد هارون، بَيْروت: دارُ الْجيل، ط:1، 1411ه1991-م.

11 - عبد اللَّطيف، محمَّد حَماسَة، بِناءُ الْجُمْلَة الْعَرَبِيَّة، الْقاهِرَة – بَيْروت: دارُ الشُّروق، ط:1، 1416ه1996-م.

12 - عَبْده، داود، أَبْحاثٌ في الْكَلِمَة وَالْجُمْلَة، عَمّان/الأُرْدُن: دار الكرمل لِلنَّشْر وَالتَّوْزيع، ط:1، 2008.

13 - عُضَيْمَة، مُحَمَّد عَبْد الْخالق، دِراساتٌ لأُسْلوب الْقُرْآن، الْقاهِرَة: دارُ الْحَديث، د.ط، د.ت.

14 - عكاشة، عُمَر يوسُف، النَّحو الغائب: دعوةٌ إلى توصيفٍ جديدٍ لنحوِ اللغةِ العربيَّةِ في مقتضى تعليمِها لغيرِ النّاطقين بها، بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، ط:1، 2003.

15 - الْمُراديّ، الْحَسَن بْنُ قاسم (749ه)، الْجَنى الدّاني في حُروف الْمَعاني، تَحْقيق: فَخْر الدّين قَباوَة وَمُحَمَّد نَديم فاضِل، بَيْروت–لُبْنان: دار الْكُتُب الْعِلْميَّة، ط:1، 1413ه1992-م.

16 - مَغالسة، مَحْمود حُسْني، النَّحْوُ الشّافي الشّامِل، عَمّان/الأُرْدُنّ: دارُ المَسيرَة لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزيعِ وَالطِّباعَة، ط:1، 2007 م – 1427 ه.

17 - اِبْنُ يَعيش، مُوَفّق الدّين النَّحْوِيّ (643ه)، شَرْحُ المُفَصَّل، بَيْروت: عالَمُ الْكُتُب، د.ط، د.ت.

الْمَراجِعُ الأَجْنَبِيَّة:

18 - Alfoqaha, Hend Saleh Bayer, A Contrastive Study of English –ly Adverbs and Arabic Circumstantial Constructions, Yarmouk University, JORDAN, Master Thesis, Supervised by: Mohammed Al-Shorofat, 2009.